كتاب الجمهورية

العدد ١٩



هيس يتكلم..

بعد ٢٩ عاما فى السجن

ترجمة وإعداد : عبد الرحمن فهمى - مصطفى كمال

١٠

كتاب الجمهورية

يصدر عن دار الجمهورية للصحافة

العدد التاسع عشر

الرسـوم بريشـة الفنـان : محمود فرج

هيس يتكلم

بعد ٢٩ عامًا فى السجن

ترجمة وإعداد: مصطفى كمال - عبد الرحمن فهمى

إهداء

الى كل الناس ..

الى الجيل القديم :

الذى عاصر حادث سقوط رودلف هيس بالبراشوت فى بريطانيا .. للاجابة على عشرات من علامات الاستفهام التى علقت بالرؤوس طول الأعوام التسعة والعشرين الماضية .

.. والى الجيل الحالى

نقدم أغرب قصة فى تاريخ الحروب .. الرجل الثانى فى دولة منتصر يعرض الصلح على دولة مهزومة .. فترفض الدولة المهزومة الصلح ، وتأسر الرجل !! وتواصل الحرب حتى تنتصر !!..

مقدمة

منذ ربع قرن .. انتهت حرب ضروس ..
حرب استمرت نحو ست سنوات .. اكتوى بنارها العالم كله .. وكبدت البشرية خسائر وآلاما وتضحيات ما زالت ذكرياتها تجثم على صدور الناس جميعا .. كأنها كابوس لا يطاق !!

وقد صدرت عن هذه الحرب آلاف من الكتب والبحوث والدراسات ، وكتبت مئات المذكرات بأقلام القادة الذين شاركوا فى معاركها من مواقع القمة ، سواء فى مناصب الحرب أو مناصب السياسة ..

ومع ذلك فما زال الكثير من أحداث هذه المجزرة البشرية الكبرى أسرارا غامضة لم يكشف عنها الحجاب بعد ..

وواقعـة « رودلف هيس » .. سر من هـذه الأسرار .. بل لا نغالى اذا قلنا انها كانت من أعظم مفاجـآت الحـرب العالمية الثانية اثارة ، واكثرها مدعاة للحيرة والتساؤل ..

ذلك أن « رودلف هيـس » لم يـكن شخصـا عاديا .. بل هـو نائب هتلر .. فى وقت كانت فيه امبراطورية الطاغية الألمانى تمتد الى شاطىء الأطلنطى غربا والى ما وراء وارسو شرقا ..

وكان هيس أقرب المقـربين الى هتلر ، وشريكه فى تأسيس قيادة الحزب النازى ، ومهندس الرايخ الثالث ، واحـد ثلاثة يتحملون المسئولية الأولى عن كل جرائم هذه الحرب ..

ففى يوم ١٠ مايو ١٩٤١ .. كانت بريطانيا تتأوه تحت عنف غارات الطائرات الالمانيـة التى بلغت الف غارة فى اليوم ! ! .. وكان روميل فى شمال أفريقيا يشق طـريقه نحـو الاسكندرية .. وكانت الدوائر العليا فى المانيا تتخذ فى سرية بالغة استعدادها من أجل توجيـه ضربة قاتلة للاتحـاد السـوفييتى .. وكان موعد هذه الضربة قد تحدد بالفعل ..

... فى هـذا اليـوم بالذات فوجىء العـالم كله « برودلف هيس » يقفز للمرة الأولى ــ وكانت الأخيرة ــ فى حياته .. بالبراشوت ..

... ولكن أين ؟ ؟
فى الجزر البريطانية ! !
فى أرض العدو !.
لماذا فعل هيس ذلك ؟
هل كان هتلر يعلم بنية نائبه ؟

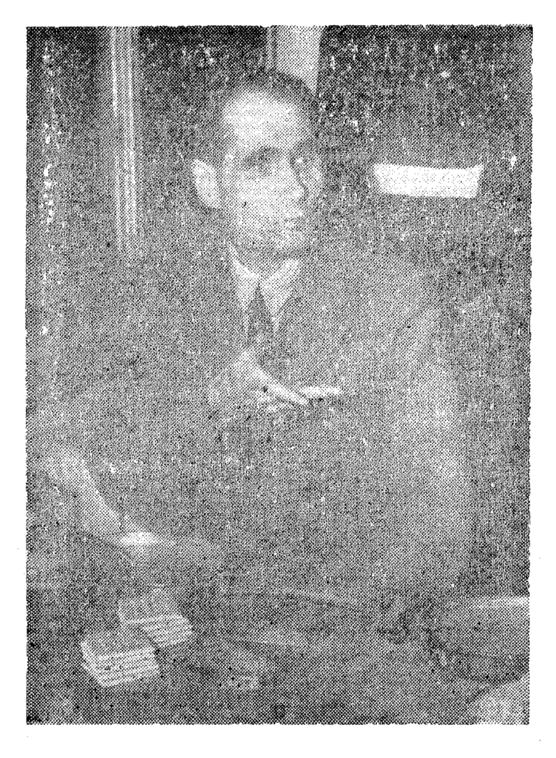
هـل كان هيس يحمـل معـه مشروع صـلح مع بريطانيا ؟

هل كان من الممكن أن تنتهى الحـرب بالنسـبة لبريطانيا فى ١٠ مايو ١٩٤١ ؟

ثم لماذا رفض تشرشل أن يقابل هيس ؟
وعشرات من الأسئلة ..

كل ذلك سيجيب عنه هيس بنفسه .. ولكن .. بعد ٢٩ عاما من الصمت ...

انها قصة مثيرة .. تعال نبدأها من الأول :



رودلف هيس يتحدث أثناء تناوله طعام الغـــداء وقت المحاكمة ..

كيف وقع الحادث كما صورته الصحف في حينها

●● ليلة العاشر من مايو ١٩٤١ ..

كانت ليلة طويلة .. طويلة .. كأنما ليس لها نهار ..

أفواج تلو أفواج من قاذفات القنابل تجتاز الشاطىء البريطاني ، وتلقي قنابلها تباعا ليصبح كل ما تحتها شعلة من النيران.

في تلك الليلة بالذات .. كانت لندن تقاسي من أعنف غارة جوية عرفتها طوال الحرب ..

ولكن .. هناك في الشمال .. على بعد ٨٥٠ ميلا من لندن .. كان كل شيء هادئا هدوء السلام ! !

لم يكن هناك خطر ما يهدد هذه المنطقة .. ولكن فجأة استولت الحيرة واستبدت الدهشة بكل العاملين في محطة الرادار الصغيرة في بلدة « انيفرنيس » .. عندما

التقطت المحطة صورة طائرة مجهـولة كانت تقترب وحدها من الشاطىء الاسكتلندى .. قادمة من ناحية المانيا ! !

وأرسلت المحطة اشارات التحـذير فى الحال الى كل الجهات .. وسرعان ما تبين ان الطائرة المانية الصنع .. من طراز « مسر شميدت ۱۱۰ » على وجه التحديد .

ولم يكن من السهل تصديق ما تقـولة شاشة الرادار ، فهذا الطراز « مسر شميدت ۱۱۰ » طـائرة مقـاتلة محـدودة المـدى ، لا تستطيع أن تقـوم برحـلة من المانيا الى اسكتلندا ثم تعـود .. ولـكن لم يكن هناك مجال للشك .. فالصورة تنطق أمام العيون على الرادار !



وفى تلك اللحظـــة كان المـلازم « توم هيزلوب » ضابط البوليس يقود سيارته فى الطريق الزراعى الواسع ، وبصبحتـه ابنته « نان » ، وهى طيـارة بارزة فى الســلاح الجو البريطانى .. حين سمع راديو السيارة يقطـع برنامجـــه ، ويعـلن فى حـــالة هيستيرية :

« اجتازت طائرة معـادية أراضينا .. وهى تتجه الآن نحو جلاسجو .. لم نتعرف بعد على الطائرة .. ولكن يجـب اعتبارها

معادية .. على جميع الجهات المختصة الاستعداد » .

وظل الراديو يكرّر الاعلان .. كل خمس دقائق ..

والأب وابنته يواصلان السير فى طريقهما فى صمت .. ثم فجأة صرخ الأب :

ـ انى أسمع أزيز طائرة ! !

واستطاعت الابنة أن تلمح نقطة فضية لامعة تطير فوقهما ، وما لبثت طويلا حتى ادركت بخبرتها أن الطائرة تلقى بعض المتاعب .. فصرخت قائلة :

ـ هذه الطائرة تسير بلا قائد !

وأمسك الأب والابنة بمنظار مُكبر ، فلمحا من بعد « براشوت » كالزهرة البيضاء المتفتحة..واستمرت الطائرة تزأر مبتعدة.. وقد وضح أنها فقدت توازنها تماما ، وأخذت تترنح ، وأن هى الا لحظات حتى دوى صوت ارتطامها بالأرض ..وقدر الأب « هيزلوب » مكان سقوطها على بعد نحو ميل ونصف ميل .. فأسرع بسيارته اليها .. ولكنه ما لبث أن ضغط على فرامل السيارة بشدة .. لقد سمع صوت أنين فى الأرض.. داخل مزرعة .. فنزل من سيارته وبدا

يبحث عن مصدر الصوت ! .

في هذه المزرعة كان كوخ صغير أبيض يقيم فيه « دافيد ماكلين » كبير سائقي جرارات المزرعة .. وداخل الكوخ كان « دافيد ماكلين » يخلع ملابسه في اللحظة التي سمع فيها هدير محرك الطائرة فأرسل بصره من خلال النافذة المفتوحة ، متطلعا الى السماء ، فلم ير شيئا .. ولكنه عاد وقال :

ــ آه .. ها هو !!

وكان قد رأى في صعوبة شديدة « براشوت » يسبح في الفضاء ، هابطا الى الأرض .. وهرع الرجل خارجا الى البوابة المؤدية نحو المرعى.. وهناك وجد البراسوت قد سبقه الى الأرض .. وعندما وصل اليه رأى الطيار وهو يحاول أن يفك رباط المظلة ، فأمسك بخيوطها ، حتى اذا ما استطاع الطيار اخيرا ان يخلص نفسه أخذ ماكلين يتطلع اليه متسائلا :

ــ هل انت الماني ؟

كان رجل البراشوت ما زال جالسا في مكانه ، واخذ يحاول ان ينهض بعد أن التقط أنفاسه .. ولكن قدمه اليمنى لم تستطع أن تتحمل ثقل جسمه ، فساعده ماكلين حتى استوى واقفا .. وعندئذ أجاب بالانجليزية ... ولكن بلكنة غريبة !

ـ نعم أنا المـانى .. اسمى هـوفمان هورن !

وكان واضحـا من لهجته أنه يتحـدث بلهجـة ودية ، كانما يرجـو أن يلقى بعض العون .. واضاف الرجل الغريب :

ـ أرجوك .. هـل تستطيع أن تاخذنى الى « دونجافل هاوس » ؟ ؟ .. لا بد أنهـا قريبة جـدا من هنـا .. أنا أريد أن اقابل دوق هاملتون بأقصى سرعة ! .

وفى هذه اللحظة دوى صـوت انفجار الطائرة .. فسأله ماكلين فى انفعال :

ـ هل كان معك أحد فى الطائرة ؟

ـ لم يكن معى أحد ..

ـ هل تحمل سلاحا ؟

ـ أنا لست مسلحا بالمرة .. وتستطيع أن تتأكد من ذلك بنفسك ..

ورفع الرجـل الالمـانى ذراعيـه الى أعلى مستعدا لأى تفتيش .. ولكن قائد جرارات المزرعـة مـاكلين رفض ذلك .. فاسـتند الألمانى بذراعه فوق كتف ماكلين ، متـكئا بثقله كله عليه .. وأخـذ الاثنان يتقدمـان ببطء نحو بوابة المزرعة .. وقد بدا واضحا أن قدم الألمانى اليمنى مصابة ..

وكانت مسز ماكلين واقفـة عند الباب تسترق السمع من بعد .. ثم أخذت تتطلع

مشدوهة الى ما ترى .. فقال لها زوجها :

ــ ان لدينا ضيفا الليلة ! ..

وتراجعت السيدة بسرعة نحو المطبخ ، ودخل رب الاسرة والطيار الى المنزل .. فارتمى الطيار بسرعة على مقعد وثير بجانب المدفأة .. وعاد يسأل :

ــ قل لى سيدى .. هل « دونجافل هاوس » بعيدة عن هنا ؟

ــ كلا .. فقط عشرة اميال !

ــ هل تستطيع ان تاخذنى الى هناك ؟ ؟

فهرش ماكلين راسه . ثم قال :

ــ الأفضل ان ننتظر الجنود ؟



وكان ضابط البوليس « هيزلوب » وابنته الطيارة « نان » قد لحقا بالطيار الهابط بالبراشوت ، فاتفقا مع ماكلين قائد جرارات المزرعة على أن يهرولا الى وحدة من وحدات الاشارة القريبة لابلاغ الحادث الى الدوائر الرسمية ..

واخذت مسز ماكلين وابنها وابنتها يرشفون الشاى .. بينما تناول الرجل الالمانى قدحا من الماء .. لقد كان زمن الحرب ، وكل شىء يباع بالبطاقة : الشاى والسكر والخبز واللحم والبيض واللبن والسمك .. كل شىء !

ومــرت اللحظــات بطيئـــة .. وماكلين يســائل نفســه :

ـ لماذا تأخر الجنود ؟

ثم بدا يتطلع الى أسير، فاحصا .. أن ثمة أشياء غريبة فى هذا الرجل .. أنه يبدو فوق الخمسين .. وفى هذه الســن يكون الطيارون عادة قد تقاعدوا منذ سنوات .. ثم ان هــذا الرداء الــذى يرتديه يبــدو من قماش فاخر حقا .. وفى يده اليسرى ساعة من الذهــب ولهــا (استيك) من الذهـــب أيضا ! ! والحذاء فى ساقه تبدو من أطرافه بطانة فرو ناعمة . وعندما يتحدث تظهـر جيدا فى طيات حديثه لهجة آمرة .. كأنما تعود دائما أن يأمر فيطاع .

ـ كلا .. ان هذا الرجل غير عادى ..

هكذا قال ماكلين لنفســه .

وقطع تفكير ماكلين صوت طرقات على الباب .. وهرعت مسز ماكلين لتفتح لشابين من رجال سلاح الاشارة .. دخلا على الفور بطريقة الاقتحام .. وقال أحدهما بسرعة :

ـ أين الأسير الألمانى ؟

ثم جاءت طرقة اخــرى على الباب .. ودخل اثنان آخــران فى ثياب مــدنية .. ولــكن على راســيهما خــوذة عليها كلمـــة « بوليس » .. انهما من رجــال الحــرس

الوطنى .. فى يد أحدهما مسدس ..
وقد شهره بطريقة فيها شيء من الخطورة !
أرهبت كل من فى البيت ..

... وقال فى غلظة وتهكم :

ـ هل هذا هو الأسير الألمانى الذى يجلس بجوار المدفأة كأنه ضيف عزيز ؟ ؟ ! !

وهرش ماكلين ـ صاحب البيت ـ رأسه .. وصمت .. ثم قال :

ـ هل ستأخذونه الى نقطة البوليس ؟

ـ لا .. سنأخذه الى مقر الحرس الوطنى .. هذه هى التعليمات .

وقد بدا الألمانى مستعدا الى آخر مدى للتعاون مع رجال البوليس .. وأصر على مصافحتهم جميعا .. حتى هذا الرجل الذى يشهر مسدسه فى وجه الجميع ! !..
وكان يشد على يد كل منهم بطريقة عسكرية .. ثم أحنى رأسه محييا آل ماكلين ، شاكرا لهم حسن ضيافتهم .. ثم ركب السيارة مع رجال الحرس الوطنى .

وانطلقت السيارة الى مقر الحرس الوطنى فى بلدة « يوزبى » .. وكان مقر الحرس هناك ناديا قديما للكشافة .. وقد سار أحد الرجلين أمام الطيار الالمانى ، فى حين سار الثانى خلفه وقد شهر مسدسه فى ظهره ، بطريقة لا داعى لها .. وكان عليهم

ان يسيروا فى ممر طديل مرصوف بالأسمنت المسلح حتى مدخل احدى القاعات..وما أن اقتربوا من القاعة حتى سمع الجميع صوت ضحكات هيستيرية لرجال بالداخل ..

حاول الرجل الذى فى المقدمة أن يفتح الباب ، ولكنه وجده مغلقا من الداخل ، فدق بعنف شديد ، فهدأت موجة الضحك ، ولكن احدا لم يفتح ، فعاد يدق بعنف أكثر ، وهو يهتف بصوت آمر كانه يزأر

- افتح الباب .. معنا اسير المانى !!

ودار المفتاح فى القفل .. وفتح الباب على مصراعيه .. وبدا واضحا ان رجال الحرس كانوا فى اجازة .. أو على الاقل فى استراحة .. كل منهم فى مرحلة من مراحل خلع الملابس !! .. معظمهم فى الخمسينيات ، وبعضهم قطعا بلغ مرحلة الستينيات !! .. كان منظرهم فى الحقيقة ظريفا .. خصوصا بالنسبة للرجل الالمانى الذى لم يستطع ان يمنع شبح ابتسامة تراقصت على شفتيه !

ولمح أحد حارسيه الابتسامة ، فثارت فيه عنجهية الامبراطورية البريطانية ، وصرخ فيه بصوت عال !

- انتباه ..

فوقف الطيار الالمانى المستسلم وقفة عسكرية سليمة .. واخذ رجال الحرس

الوطنى يحملقون فيمـا أمامهم بما يشبـه البلاهة .. كان آخر شىء يتصورونه فى تلك اللحظة ان يؤتى بطيار المانى اسير يحرسونه.

ثم اسـتدار الرجـل « ليشخـنط » « ينطر » فى الجنود ويقول مرة اخرى :

ـ انتباه !

وفى ثوان قليلة حافلة بالحركة المضطربة كانت الملابس المعلقة قد وجدت اماكنها على اجساد الرجال .. والبنادق ذات السناكى المشروعة فوق الاكتاف .. وسرعان ما شكل رجال الحرس الوطنى طابورا مهلهلا .. كل ذلك كان يجـرى .. وكان أحـد الرجلين يراقب الاسير الالمـانى بدقة .. فى حين كان الأسير يبتسم فى سـخرية .. وخيل الى الرجـل الاسكتلندى أن الأسير كان يقـول قطعا فى هذه اللحظة :

ـ ان شيئا كهذا لا يمكن ان يحدث فى المانيـا ، حيث نعـرف شـيئا اسمـه .. النظام !



وهنا دفع احد رجال الحـرس الوطنى بابا بقدمـه ، فانفتح البـاب عن حجـرة صغيرة .. وقال الرجل للأسير :

ـ ادخل الى هنا ..

فشد الألماني قامته في كبرياء .. وقال له :

ـ انا ضابط الماني ..

فأشار الرجل بمسدسه مهددا .. وهو يقول صائحا :

ـ لا يهمني .. حتى لو كنت السفاح هتلر نفسه ..

وكان يقول هذا الكلام بلهجة المبالغة الكبيرة .. جدا .. ولم يكن يعرف أنه يخاطب الرجل الثاني بعد هتلر !!

◆◆◆



دافيد ماكلين كبير سائقي جرارات المزرعة .. التي سقط فيها هيس بالبراشوت
.. وكان اول شخص يقابل هيس في بريطانيا ..

الفصل الأول

هيس يتكلم !!

هتلر كان يعلم كل شيء

((استعد اليوم .. لأقول لك اخطر سر في الحرب العالمية الثانية)) .

ـ هل كان هتلر يعلم برحلتى ؟

● نعم .. لقد تمت الرحلة بعلم هتلر وبموافقته .. اكثر من هذا .. لقد تناقشت معه في هذه المغامرة عدة مرات على التفاصيل الغريبة التي سارويها لأول مرة في هذا الكتاب ..

وقد تسالني :

ـ ولكن ما سبب هذه الرحلة ؟

فأقول لك في بساطة وصراحة ووضوح !

● كان الهدف من الرحلة عقد صلح مع بريطانيا للاشتراك معها في الهجوم على روسيا .. مع أحلام بتحقيق السيادة على العالم كله .. المانيا تملك أوروبا كلها ، وبريطانيا تحتفظ بمستعمراتها فيما وراء البحار .

وقد تسالني :

ـ وما هي تقديراتكم في امكان نجاح الرحلة ؟

فاقول لك :

● لم يكن هتلر او أنا نشك لحظــة واحــدة فى أن بريطانيا ــ وهى فى هذه الحالة السيئة للغاية ــ يمكن ان تتردد لحظة واحدة فى قبول هذا العرض »

وقد تسألنى :

ــ وما سبب هذا اليقين ؟

فأجيبك :

● ان بذور هذا اليقين كانت مغروسة غرسا فى أذهاننا بفضل رجل معين له نفوذ عظيم على عقلية الحــزب النازى كله .. هو البروفيسـور كارل هوشوفير .. انه الرجل الذى لعب اخطر دور فى النازية من وراء الستار .. انه مفكر الحزب وملهمه .. وكان خير تلاميذه هو .. انا .. رودلف هيس .

◆ ◆ ◆

ولكن من انا ؟.. هل تسمح لى بان اقدم لك نفسى ؟

« لقد ولدت فى الاسكندرية ميناء مصر الكبير عام ١٨٩٤ .. لابوين المانيين ثريين هما فريتز وكلارا هيس .. وعنـدما بلغت الخامسة عشرة من عمــرى أوفدنى والدى الى مدرسة التجــارة العليا فى سويسرا .. لكى أواصل تعليمى ، الذى كنت قد بدأته فى المدرسة الألمانية فى الاسكندرية .. وكانت النية معقودة على ان استكمل دراستى بعد ذلك فى جامعـــة اكسفورد بانجلترا .. ولكن الحرب العالمية الأولى اندلعت ، فانخرطت فى سلك الجندية ، وكنت لم ابلغ بعد الرابعة والعشرين من عمرى .

وعملت فى فرقة المشاة البلغارية الأولى .. ومن المصادفات الغريبة كانت نفس الفرقة التى يعمل فيها « ادولف هتلر » .. ولكننا لم نتقابل ، فقد كان هتلر يعمل جندى مراسلة ليس الا !! أما انا فكثيرا ما كنت اسافر الى الجبهة الغربية لاحارب واعود !

وانتهت الحرب العالمية الأولى ..

وكان أهلى لا يزالون فى مصر ..

وتلقيت يوما خطابا من والدى يطلب منى العودة الى الاسكندرية لكى اشاركه عمله فى التجارة .. وكان يملك ثروة لا بأس بها فى مصر .. ولكنى فضلت أن أكمل تعليمى ، فالتحقت بجامعة ميونيخ ، ودرست هناك التاريخ والاقتصاد والعلوم السياسية .

وفى هذه الجامعة التقيت بقدرى .. التقيت بالبروفيسور كارل هوشوفير استاذ العلوم السياسية .

وكان هوشوفير رجلا علامة .. ولكن ايمانه ببعض النظريات كان يبلغ حد اليقين الاعمى .. مثله فى ذلك مثل كثير من العلماء الأفاضل . ويرجع هذا الى أنه كان دارسا لعلوم الفلك والغيب والأحاسيس المبهمة .. وما الى ذلك .. كان مثلا يستطيع أن يقرأ الغيب لأى شخص بمجرد وقوفه على بعض المعلومات عنه مثل تاريخ مولده ومكانه واسمى والديه .. بل أكثر من هذا .. كان هوشوفير هذا يستطيع أن يقرأ الغيب بالنسبة للدول نفسها من وضعها الجغرافى وخطوط الطول والعرض التى تمر بها . والحركة الفلكية فوقها والمادة التى تتكون منها تربتها .. وكانت للبروفيسور نظريات سياسية وفلسفية معينة مكتملة لا تقبل المناقشة .

◆ ◆ ◆

وكنت فتى صغيرا غريرا ساذجا ، عندما بدأت أدرس على يدى هذا البروفيسور الخطير ..

وكنت ساخطا على الوضع الاقتصادى والسياسى المحزن الذى آلت اليه (المانيا) .. وبدا لى أن هوشوفير يعرف الطريق لحل كل مشكلات بلادى .. لقد انفق سنوات فى اعداد الخطة

السياسية الفلسفية الكاملة لبلادى .. وهكذا تشربت كل أفكار معلمى « الغريب » !

تعلمت منه أن الجنس الآرى هو الجنس الوحيد فى العالم الجدير بسيادة كل الدول .. ونحن (الألمان) خلاصة هذا الجنس الآرى .

وتعلمت منه أيضا أنه لا بد لألمانيا أن تحكم أوروبا كلها من الاطلنطى الى الأورال ! .



وكان البروفيسور الخطير يقول لى من آن لآخر بصيغة الجزم والتأكيد .. كأنه قارىء كف ، أو كاهن فى معبد مكشوف عنه الحجاب .. كان يقول :

ـ سوف يظهر فى المانيا ذات يوم زعيم سيجعل الألمان هم اسياد العالم .

وكنت أؤمن بهذا الكلام الى درجة اليقين .. حتى اننى ذات مرة طلبت من هوشوفير أن يصف لى هذا الزعيم المنتظر .. فقال لى :

ـ انه رجل غير عادى .. يتمتع بمواهب فذة .. وافكار متميزة !

ـ ومتى سيظهر ؟

ـ انه بيننا الآن .. وسيحتل مكانه قريبا !



وتمر الأيام .. ويتم اعلان تشكيل حزب جديد هو الحزب الاشتراكى الوطنى (النازى فيما بعد) فانضممت اليه بشكل آلى .. بعد أن وجدت أن مبادئه تتفق مع ما قاله لى هوشوفير ..

كان رقم عضويتي ١٦ بينما كان رقم ٧ خاصـا بشخص اسمه (ادولف هتلر) .

وفي اول اجتماع للحزب سمعت رقم ٧ يتحدث ، فايقنت ان هوشوفير كان يقصد هذا الرجل !

ومع احتلاطي بهذا الرجل أصبح يقيني عقيدة .. ثم تحولت العقيدة الى جنون به !

ساروي لك حادثة أثبت لك فيها مدى ولائي المبكر لهتلر .

في احد اجتماعات الحزب الأولى نشبت معركة فكرية ، وتحمس كل طرف لرايه ، وتحولت المناقشة الى معركة بالأيدي.. وفي لحظة لمحت زجاجة بيرة مكسورة في طريقها لكي تهوى بعنف فوق راس هتلر ، فبسرعة البرق تلقفتها بذراعي ، فحميت راس الزعيم المنتظر .. وتمزق ذراعي ، وسال دمي بغزارة فوق راس هتلر وملابسه .. ولكننا اصبحنا منذ ذلك اليوم توأمين لا ينفصلان !



وفي عام ١٩٢٣ ..

انكشف امر الجماعة السرية التي كنا نعمل بها .. وتم القبض علينا ــ هتلر وانا وعدد من الرفاق ــ وحوكمنا جميعا ، والقي بنا في سجن قلعة « لاندسبرج » .. في هذا السجن الف هتلر كتابه الشهير « كفاحي » !

وهنا اذيع سرا آخر لأول مرة في حياتي ..

لقد كان العديد من النظريات السياسية والفلسفية التي تضمنها كتاب « كفاحي » هي نظريات البروفيسور هوشوفير التي نقلتها لهتلر ، فاقتنع بها .. وقد بلغت حماسته لهذه النظريات ولصاحبها ان اصبح لا يزورنا في السجن سوى

البروفيسور هوشوقير .. كان هتلر يقول لادارة السجن ان هذا الرجل هو قريبه الوحيد .. وكانت الفترات المسموح لنا فيها بالزيارة هى دروس سياسية وفلسفية .

وخرجنا من السجن وفى ذهننا البرنامج السياسى الذى تحول بعد سنوات قليلة الى دستور دولة المانيا النازية !!

◆ ◆ ◆

واذكر يوم الافراج عنا ان وجدنا سيارة مرسيدس فخمة عند الباب .

لم نصدق طبعا ان هذه السيارة تنتظرنا .. فاذا بمفاجاة اخرى داخل السيارة .

ان بها فتاة رائعة الحسن هى (الزى بروهل) عضو الحزب ، وعضو الخلية السرية معنا .

وقد توثقت العلاقة بين الاثنين على النقيض .. رجل فكرى فقير هو انا ، وفتاة ثرية ولكنها ذات مبادىء أيضا هى (الزى) . ولم يكن قبول (الزى) الزواج بى فى هذه الفترة الا تضحية ضخمة من جانبها .. لقد قبلت الزواج من اجل شخصى فقط .. فلم تكن تحلم ان هذا الرجل سيكون بعد اقل من عشر سنوات الرجل رقم ٣ .. فى العالم !!

◆ ◆ ◆

وعندما تركت السجن .. لم يكن لى الخيار !

ــ هل اتوب عن العمل السياسى ؟

ــ لا .. لن استطيع .. فهل يمكن مثلا ان افرغ دمى كله من عروقى واستبدل به دما آخر لا تجرى فيه السياسة ؟ ؟

فبقيت فى الخلية السرية تحت الأرض .. وفى الحزب الاشتراكي الوطنى (النازى) .. فوق الأرض !

وفى هذه الفترة ألحقنى البروفيسور كارل هوشوفير بالعمل معه فى الأكاديمية الألمانية بميونيخ .. لا طالب علم ، بل مساعدا له فى عمله .. الى جانب تلك الفرصة الرائعة التى ستتاح لى للتزود بالنظريات العجيبة لهذا الرجل الذى أصبحت أفكاره جزءا لا يتجزأ من سياسة النازى فيما بعد .

وكان هتلر يقضى معظم وقته معنا فى الأكاديمية .. بمكتب البروفيسور .. حيث كنا نكتب وثائق الحزب ومنشوراته وكتيباته ! !

◆ ◆ ◆

وتمر الأيام ..

ويجىء يوم ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ ..

ويتولى هتلر السلطة .. واخذ نفوذى فى هذه الدولة الجديدة يتعاظم بسرعة رهيبة .. فيكفى أن تعرف ان برنامج الحزب وجميع قوانينه من وضعى انا ..

ولم تمض خمس سنوات حتى احتللت المركز المناسب .. نائب هتلر رقم ٢ بعد جورنج .. حقيقة كنت أولى من جورنج بمركز النائب الأول ، ولكن ولائى واخلاصى لهتلر لم يتزحزح قيد أنملة .. كنت عندما يذكر اسم هتلر أمامى تنتابنى رعشة حب ورهبة واحترام !

◆ ◆ ◆

ـ هذا هو انا .. رودلف هيس الذى طار الى بريطانيا يوم ١٠ مايو سنة ١٩٤١ فى اغرب رحلة فى التاريخ الحديث واشدها خطرا .

ـ ولكن لماذا قمت بهذا العمل الجنونى ؟

ـ ان هوشوفير هو السبب ..

ـ كيف ؟

ـ لذلك قصة طويلة .. تعال نبداها من الأول



لقد كان صعود هتلر الى السلطة بالنسبة لى تاكيدا حاسما لصدق كل نظريات البروفيسور هوشوفير الذى أصبح لى ولهتلر صاحب الوحى الذى نلتمس لديه الراى والمعرفة ..

فهوشوفير هو الذى ألح على هتلر أن يوقـع اتفاقية ميونيخ مع تشمبرلن رئيس وزراء بريطانيا .. وهـذا سر آخـر أذيعه لأول مرة .

بل ان هوشوفير كان يعلم طول عمـره ان المانيا لا يجوز أن تعلن الحرب ضد انجلترا .. لأى سبب من الأسباب !

ولكن بمرور الأيام ..

وكان هتلر قد ذاق طعم السلطـة ـ واسـكرته انتصـاراته الداخلية والديبلوماسية ـ لم يعد يستمع لاستاذه هوشوفير .. بل لم يعد الاثنان يلتقيان أبدا .. هوشوفير لا يسعى لأحد ، لأن فيـه عظمـة الاسـتاذ وأنفتـه وكبـرياءه .. هتلـر مشـغول « لشوشته » بالسلطة !

وفى سبتمبر سنة ١٩٣٩ أعلن هتلر الحرب ضد بريطانيا .. رغم ارادة استاذه .. الكبير ..

غضب الاستاذ .. ولكنه سكت !



وذات يوم من شهـر ابريل عام ١٩٤١ هـرولت الى منـزل هوشوفير .. ودققت الباب فى عنف .

ـ بروفيسور .. بروفيسور ..

ـ رودلف .. ماذا بك ؟ ؟

قلت له فى جزع شديد :

ـ ان هتلر يريد ان يغزو روسيا ! !

وجزع الرجل العجوز جزعا شديدا .. وامتعض .. كانت كل تعبيرات وجهه تدل على الاشمئزاز .. فقال :

ـ وماذا سافعل ؟

ـ الم تتعلم انه لن تكون هناك حرب فى جبهتين ؟

ـ بل ان هتلر نفسه كتب هذا فى كتابه « كفاحى » .. انه مخطىء اشد الخطا ..

ـ ان الوحيد فى العالم الذى يستطيع ان يقول لهتلر انت مخطىء هو انت ..

ـ ولكنه لم يعد يستمع لكلامى ..

ـ افعل ما يمليه عليك ضميرك من اجل المانيا ..

وارتدى الرجل ملابسه ونزل معى الى حيث اجتمعنا بهتلر فورا .. وكان دخوله على هتلر مفاجأة له .. واقتنع هتلر بوجهة نظر هوشوفير .. الحرب فى جبهتين جنون .. الجنس الآرى لا يحارب بعضه بعضا .. كان من الخطا اصلا ان تعلن المانيا الحرب على انجلترا .. الحل السليم والطريق الوحيد هو

عقد صلح عاجل مع انجلترا .. ثم البدء فى التفكير فى الهجوم على روسيا .

ووقف هتلر فى منتصف حجرة مكتبه الواسعة جدا ..
وبدا يطرق براسه الى اسفل .. ثم يضرب برجله الأرض ..
وهذه هى طريقته احيانا فى التفكير المضطرب .. ثم قال :

ـ انا لست مستعدا لحظة واحدة ان ابدى اى ضعف من جانب المانيا فى تصميمها على سحق كل من يقف امام آمالها .

فرد هوشوفير :

ـ اذن انت غير مقتنع بما اتفقنا عليه ..

ـ بل مقتنع تماما .. ولكن ما هو الطريق ؟ .. انا غير مستعد اطلاقا لأن اظهر بمظهر الضعيف المتخاذل !

هكذا رد هتلر على هوشوفير .. وسكت لحظة .. ثم عاد يقول :

ـ ما رايكم فى عملية جس نبض للتعرف على مدى استعداد بريطانيا لعقد صلح معنا ؟

ـ كيف سنقوم بهذه العملية ؟ (هكذا سالت انا) ..

ـ ساخطب فى الريشستاخ بعد خمسة ايام وساضمن خطابى عرضا للصلح ..

وبدانا جميعا .. هتلر وهوشوفير وانا .. نضع بكل دقة وحكمة كلمات الخطاب الذى جاء فيه على لسان هتلر :

« ينبغى على المستر تشرشل أن يصدقنى عندما أقول سلفا أن امبراطورية معينة سوف تتحطم .. امبراطورية لم يكن فى نيتى ابدا ان احطمها او الحق الضرر بها .. والواقع انى لا ارى

مبررا لاستمرار الحرب بعد اليوم .. اقول هذا وانا اعلم ان الترجمة الانجليزية الحرفية لخطابى يسمعها المستر تشرشل الآن » ..

وقد جاءنا الرد من تشرشل على شكل خطاب فى مجلس العموم فى اليوم نفسه .. اذ قال :

« فى الحقيقة كلام هتلر اليوم ليس عرضا للسلام .. انما هو مجرد ابداء استعداد لقبول استسلام بريطانيا .. وقبول تخليها عن المبادىء التى دخلت الحرب من اجل الحفاظ عليها » (*)

◆ ◆ ◆

وفى مساء نفس يوم خطاب تشرشل .. عقدنا اجتماعنا الثلاثى الثانى فى مكتب هتلر .

لقد فشلت عملية جس النبض الأولى .. فما الحل ؟ (**)
ولكن هتلر صرخ قائلا :

- ان تشرشل قطعا لا يتحدث باسم الشعب البريطانى الذى يذوق ويلات الحرب ..

فقال هوشوفير :

- ان ابنى الدكتور كارل فى اسبانيا .. وهو صديق حميم للدكتور هاميلتون .. ودوق هاميلتون على صلة وثيقة بتشرشل .. .. انا أقترح استدعاء ابنى كارل من اسبانيا وتكليفه بالسفر الى اسكتلندا لمقابلة دوق هاميلتون ليعرض الصلح رسميا على بريطانيا .

فصاح هتلر :

- ان انجلترا لن تقبل الصلح الا اذا عرضه شخص تثق به انجلترا ثقة عمياء .

وصمت هوشوفير لحظة .. وامسك بذقنه .. وقال :

ـ انا معك .. لا بد من سفر شخص يثق فيه الانجليز ، ويتأكدون تماما وعلى وجه اليقين أنه يتحدث باسم هتلر نفسه .. مخولا كامل السلطات للتفاوض باسم الدولة الألمانية .. من ترشحه للسفر اذن ؟

فهز هتلر رأسه .. وأبدى عدم حماسته للموضوع كلية .

ثم وقف .. وهذا يعنى أن الاجتماع انفض .. وعلى المجتمعين أن ينصرفوا فورا !



.. ولما خرجنا من السجن .. وجدنا فتاة رائعة الحسن وثرية جدا هى (الزى بروهل) .. تزوجتنى .. مضحية بكل شىء .. ولم تكن تعلم أن بعد أقل من عشر سنوات من هذا الزواج سأصبح الرجل رقم ٣ .. فى العالم كله !!



بروفاسير كارل هوشوفير
... الرجل الذى لعب
اخطر دور فى النازية من
وراء الستار

الفصل الثانى

رجل الأقدار

خرجنا .. هوشوفير وانا .. من مكتب هتلر بعد ثانى اجتماع لنا قرب منتصف الليل ينظر كل منا للآخر .. كأننا نجر أذيال الخيبة .

ـ ما الحل ؟ ؟

هكذا تساءلت فى السيارة .. ولكن هوشوفير لم يرد .. انه مستغرق فى تفكير عميق . على أن ملامحه كانت تدل على أنه حزين جدا .

وفكرت طول الليل فيمن هو « رجل الاقدار » الذى يجب أن يقوم بهذه المهمة الخطيرة .. يطير الى لندن ليعقد صلحا مع بريطانيا ! ! .. وفكرت فى اثنين فقط يمكن أن يمثلا هتلر شخصيا فى هذا المهمة .. أما جورنج أو .. أنا ! !

وفى الصباح اتصلت باستاذنا هوشوفير أعرض عليه نتيجة تفكيرى هذا .. وسألته :

ـ ما رايك .. أنا ام جورنج ؟ وكيف نقنع جورنج ؟ .. وهل جورنج يستطيع ان يطير فى هذه المهمة الخطيرة ؟ ..

فقال البروفيسور مقاطعا :

ـ الحل الوحيد عدم توسيع دائرة الموضــوع .. وعليك ان نطير أنت الى اسكتلندا في الشمال..بعيدا عن الغارات العاصفة في الجنوب .. وتقابل دوق هاملتون هناك .

ـ هكذا بدون علم الفوهرر ! !

ـ لا .. لا بد أن يكون بعلمه .. واقتناعه أيضا .. والا فلا جدوى من السفر .

ـ ولكنه غير مقتنع .

ـ سيقتنع عندما تستعد انت للرحلة من كل الوجوه !



ـ أنا حقيقة طيار قديم ، ولكنى لم اطر منذ ١٩ سنة .. اذن لا بد من أن اتدرب من جـديد على الطائرات (الحديثة ! !) .. ولكنى فوجئت بعقبة لم تكن فى الحسبان .

ان (أرنست يوديت) قائد السـلاح الجـوى الألمانى رفض السماح لى بالطيران بدون موافقة كتابية من هتلر ! !

.. أنا النائب الثـانى لهتلر .. لا يسـمح لى قائد الطيران بالتحليق فوق برلين بالذات ، أو استخدام أى مطار من المطارات القريبة من برلين الا بعد اذن كتابى من هتلر .. شخصيا ! !

ولم أجرؤ على طلب هذا الاذن من هتلر .. ولكنى ذهبت الى (فيلى مسر شميدت) صاحب مصنع أحـدث الطائرات المقاتلة ماركة (مسر شميدت ١١٠) .. انه واضـع تصميمها ايضا .. فهو بروفيسور فى هندسة الطيران .. وهو أيضا صديق قديم .. والتمست منه المساعدة .. فأمر اثنين من مساعديه بتدريبى فى رحلات قصيرة فوق منطقة (أوجسبورج) .. وبعد يومين فقط فى التدريب استعدت ثقتى بنفسى تماما .. واتصلت بالبروفيسور هوشوفير .. لأقول له هاتفا :

ـ انا الآن مستعد تماما للطيران الى اسكتلندا ! !

ـ اذن فلنقابل هتلر سويا الآن .

◆ ◆ ◆

اتصلت (بألبرت بورمان) سكرتير هتلر الخاص .. وطلبت منه تحديد موعد عاجل بعد ساعة واحدة على الاكثر .. لأمر هام وعاجل وحيوى .. فتم لنا ما أردنا .

ـ لماذا تريد أن ترانى بهذه السرعة يارودلف ؟

(هكذا بدأ هتلر الحديث .. وكان متجهما للغاية)

وهنا قال البروفيسور هوشوفير :

ـ نريد أن نسأل هل ما زلت موافقا على اننا ينبغى ان نصل الى صلح او اتفاق مع بريطانيا قبل الهجوم على روسيا ؟

ـ بل انى أود ذلك .

(وأنا أعتبر مجرد هذا الرد سرا خطيرا من أسرار الحرب العالمية الثانية يذاع لأول مرة) .. ثم أردف هتلر قائلا :

ـ ولكننى أرى خطورة فى ارسال شخص كبير يتحدث باسمى الى لندن .

ـ ان بريطانيا ستلجأ الى العقل عندما ترى رجلا يمثل الدولة الألمانية كلها فى قلب لندن .. ان رجلا يستطيع أن يتحدث بلسان الفوهرر يذهب بنفسه الى العاصمة البريطانية الآن شىء مذهل بالنسبة للعدو .. وسوف تقابل بريطانيا هذا الرجل بما يستحقه من تقدير جاد ..

(هكذا قال هوشوفير محاولا اقناع تلميذه القديم الدكتاتور هتلر) ..

وسكت هتلر فترة .. ثم قام ومشى فى حجرة مكتبه الواسعة جدا ، الفاخرة جدا .. ثم قال :

ـ وهل هناك رجـل تطمئن بريطانيا الى انه يمثـل شخصى تماما ؟

فاجبته بسرعة : نعم

فقطب هتلر جبينه وسأل فى حدة :

ـ من يكون ؟

فقلت : انا ! ! ..

ورفع هتلر عينيه .. وركزهما فى عينى .. بعد أن قطـب جبينه أكثر واكثر .. فقلت له :

ـ انا معروف جيدا لدى البريطانيين ..

وسكت هتلر فترة .. وهو جالس فى مقعده الوثير .. واخذ ينظر الى الأرض .. ثم قال :

ـ وكيف ستسافر يا رودلف الى لندن وسط هذه الغارات ؟

ـ ساسافر الى اسـكتلندا حيث أقابل دوق هـاملتون كما اتفقنا .. ودوق هاملتون سيمهد لى الطريق .

وبان التردد على هتلر .. ان الخطة معقولة جدا .. ولكنها لا تخلو من المخاطـرة فى نظـره .. فماذا لو رفضـت بريطانيا العرض .. هكذا قال هتلر معبرا عن أفكاره :

ـ وماذا لو (ركل) تشرشل عرضا للصلح من جانب هتلر ؟.. ماذا سيكون الموقف ؟

وكنت مستعدا لهذا الاحتمال البعيد جدا ، فقلت لهتلر .. وهذا الكلام أيضا أقوله الآن للتاريخ :

ـ فى هذه الحالة المستبعدة الحدوث جدا يكون فى وسعك أن تعلن على الملأ انك لا تعلم شيئا عن نياتى وتستطيع أن تدمغنى بالخيانة .

وهنا رفع هتلر حاجبيه متعجبا .. وساد صمت رهيب !!

وقطع هذا الصمت وصول جورنج وروزنبرج .. وكنت في حيرة .. انهما الرجل رقم ٢ والرجل رقم ٤ في هذه الدولة .. فهل نواصل الحديث أم لا ؟ ؟ .. فقررت أن اترك هـذا الأمر لهتلر نفسه .. ان هتلر يحمل فوق كتفيه الدولة كلها ومستقبلها ومصيرها لسنوات قادمة .. ثم بدا لي أن هتلر لا يريد أن يعرف أحد شيئا عن الموضوع حينما قال :

ـ بروفيسور هوشوفير .. هل لك في تناول الغداء معنا اليوم ؟ ؟

فرد هوشوفير في وقار :

ـ لا مانع ..

◆ ◆ ◆

جلسنا جميعا حول مائدة الغداء .. هتلر وجورنج وروزنبرج وهوشوفير وأنا .. وتناولت (ايفا براون) صديقة هتلر الخاصة الغداء معنا ايضا .. وعندما وقف هتلر بطريقته العسكرية ، وقبل يد (ايفا براون) كان ذلك يعني عندنا جميعا ان مأدبة الغداء انتهت وعلى المدعوين ان ينصرفوا فورا .. وكنا جميعا قد كدنا نصل الى البوابة الخارجية لمبنى برجهوف) حينما استدعاني (البرت بورمان) سكرتير هتلر تليفونيا لكى نعود .. ان هتلر بدا له انه يريد أن يقول لنا شيئا ما .. وسألت الحارس للتأكد :

ـ هل يريدنا جميعا الآن ؟

ـ نعم

ورجعنا جميعا ـ جورنج وروزنبرج وهوشوفير وأنا ـ الى مكتب هتلر .. حيث وجدناه يذرع الغرفة جيئة وذهابا .. ولكنه جلس الى مكتبه بمجرد دخولنا .. وبدا يعرض الموضوع بتركيز

شديد ووضوح كامل على كل من جورنج وروزنبرج .. وبعـد بعض استفسارات أعلن جورنج موافقته على أن أسافر فورا .. وكانت دهشة هتلر شديدة عندما اعلن روزنبرج ايضا موافقته .. كان هتلر لا يتوقع موافقة روزنبرج قط .. فهو من غلاة الحرب ضد بريطانيا .. وهذا سر خطير جديد لا يعرفه أحد قبـل الآن ..

وهنا فرك هتلر جبهته ، كأنه مقدم على شيء هام خطير .. ثم قال للبروفيسور هوشوفير :

ـ بروفيسور .. تكلم .. انك لم تتحدث بعد ؟

ـ لقد تحدثت سنوات

ـ وما رأيك الآن ؟

ـ قلته منذ سنوات .. لا حرب في جبهتين .. الجنس الواحد لا يحارب بعضه بعضا .. الجنس الآرى يجب أن يسود . ولقد رددت أنت ذلك في كتابك (كفاحى)

ثم قال هتلر في صيغة الرجل المقدم على عمل هام .. ولكنه ينذر كل الموجودين من عواقب هذا العمل .. قال متسائلا :

ـ اذن نحن جميعا متفقون ؟ !

فصمت الجميع .. وهنا وقف هتلر .. لكى ننصرف جميعا .

وبدأت استعد رسميا .. وبطريقة علنية لأغـرب رحلة في التاريخ ..

أمر كتابى من هتلر لقائد السلاح الجوى (أرنست يوديت) بالسماح لى بالتدريب والطيران .. وقمت بثلاثين رحلة تدريب جوية كل منها لمدة ساعتين .

تعليمات للبروفيسور (فيلى مسر شميدت) أن يثبت خزانين للوقود اضافيين للطائرة .. مع خزان ثالث احتياطى تحت جنـاح

الطائرة .. واضافة راديو له حساسية غير عادية للاتصال ببرلين طول الرحلة

وبعد يومين .. قال لى البروفيسور هوشوفير :

ـ رودلف .. ما زلت تلميذا بليدا ! !

فضحكت كثيرا وسألته : لماذا ؟؟ .. فقال :

ـ فاتك شيء هام .. هل تعلمت اشارات اللاسلكي ؟

وكان معه حق .. فتلقيت دروسا فى اللاسلكى واشاراته .. ولكن بقى أن أعرف التعليمات .. هل سأقول للمطارات المعادية شيئا عندما اقترب منها ؟ .. وجاءت التعليمات كالآتى :

« ادخل من جهة انيفرنيس شمال اسكتلندا حيث لن تجد مدفعا واحدا يسقطك .. ولكن حذار أن تجيب على « أية اشارة .. طائرتك المانية .. اذن هى طائرة معادية .. ولن تفيدك أى اشارات سلمية اذا كانوا يملكون القوة للبطش بك .. ولكن هذه الاشارات ستكون عاملا ضدك فى المستقبل » ..



وفى يوم ٢ مايو ١٩٤١

قررت أن اقابل استاذى هوشوفير لاعقد معه جلسة دراسة سياسية طويلة ..

وبعد اربع ساعات من الحوار الفكرى والسياسى .. اتصلت بهتلر بالتليفون من عند هوشوفير فى رقمه السرى الخاص .. وقلت لهتلر بالحرف الواحد :

ـ انا الآن مستعد تماما .. مستعد سياسيا وفكريا وطيرانا .. فهل أطير الليلة ؟؟

لم يرد هتلر فورا .. وبعد هنيهة قال كلمة واحدة :

ـ نعم !!

وكان هــذا بمثابة الأمر ، فـذهبت فـورا الى المطار ، وفى صحبتى مساعدى كابتن (كارلهنز بينتش) .. وعند سلم الطائرة .. اخرجت من حافظة أوراقى خطابين ، أحدهما موجه الى هتلر ، والآخر لمساعدى ، وقلت له :

ـ انتظرنى هنـا .. فان لم أعد بعـد ٤ سـاعات .. افتح الخطاب الموجه باسمك ، وسلم الآخر بنفسك أما الى الفوهرر أو الى البرت بورمان سكرتيره الخاص .

وصعدت الى كابينة القيادة .. وارتديت ملابس الطيران داخل الطائرة .. بعد ان وضعت كل ما اريد من أوراق فى صدرى بين الفانلة والبدلة وحلقت فى الجو .. ومرت ساعتان ونصف ساعة عندما تأكدت ان الرؤية متعذرة جدا فى هــذه الليلة ، والطقس غير مناسب بالمرة ، فقفلت راجعا بأقصى سرعة ..

.. وكان مساعدى (بينتش) قد انتظرنى جالسا فى مؤخرة سيارتى المرسيدس الخاصة على حين ان السائق ورجل البوليس كانا يجلسان فى الامام ، وسط ارض المطار لمدة ٤ ساعات ونصف ساعة ، فقفلوا راجعين ، ولكنهم فى الطريق سمعوا أزيز الطائرة .. فعادوا مسرعين ..

.. وعند باب الطائرة رأيت مساعدى (بينتش) لأول مرة فى حياته يخرج عن طوره فى الحديث معى .. ويقول لى :

ـ ماذا كنت ستفعل ؟؟ .. لقد قرأت خطابك على ضـــوء مصباح السيارة الأمامى ، ولا أكاد اصدق نفسى .

ـ تعال معى الى المنزل .. لى حديث طويل معك !

وفى الطريق فوجئت .. بل فجعت .. حينما علمت أن خطابى هذا قرأه أيضا كل من السائق والحارس ! !

وهنا قلت لمساعدى :

ـ هل هكذا يكون التصرف أيها الاحمق الأبله !! ؟



رفض قائد سلاح الطيران الالمانى « آرنست يوديت » السماح لى بالتمرين على ركوب الطائرات الا باذن (كتابى) من هتلر .. فاستعنت بصديقى (فيلى مسرشميدت) صاحب مصانع طائرات (شميدت) .. وتمرنت عنده على الطيران .

الفصـــل الثـــالث

... ثم سـافرت فعـلاً

.. لم انم طول الليل .. لقد فشلت الليلة فى محاولتى الأولى للســفر الى بريطانيــا .. وكانت ليلة الثـانى من شــهر مايـو عام ١٩٤١ ..

وبمجرد ان دخلت المنزل اتصلت تليفونيا باستاذى هوشوفير .. واخبرته بما حدث .. حالة الطقس لم تسمح لى باســتكمال الرحلة .. فقال لى مازحا :

ـ ألم أقل لك انك تلميذ بليد ؟؟ .. دائما تفوتك اشياء صغيرة ولكنها حيوية .. لماذا لم تسأل عن الجو قبل القيام بهـذه الرحلة الخطيرة .. يا سيد رودلف ؟؟

ثم اتفقنا على لقاء آخر فى المساء !

وبعد ذلك بدأت أخلع ملابسى ، ولكننى تذكرت فجأة أن هتلر يجب أن يعلم فورا بأنى عدت .. وكنت قد خلعت نصف ملابسى فقط .. الجاكتة والبنطلون والحذاء الطويل ، ولا يستر جســمى سوى القميص والملابس الداخلية فقط .. وذلك حينما هرولت الى التليفون لاتصــل بهتلر فى رقمه السرى .. فلم يرد .. انه ليس بمكتبــه ولا على سريره ! .. فاتصلت بســكرتيره الخــاص (البرت بورمان) الذى صرخ عندما سمع صوتى وقال :

ـ مش معقول !!

فسألته أين الفوهرر ؟؟

ـ لقد آثر الراحة التامة اليوم .. وسافر خـارج برلين .. الى ميونيخ ..

ـ هلا تتصل به .. وتخبره بعودتى ؟!!

ـ سيحدث .. قطعا .

◆ ◆ ◆

وتذكرت مبنى « برجهوف » الذى يقيم فيه هتلر .. انه مبنى رهيب .. سور ضخم مثل أسوار السجون العتيقة عليه حرس شـديد .. السور يضم عـدة منازل ومخابىء ومخازن وجراجات تحت الأرض .. يقيم هتلر فى المبنى الرئيسى مع (ايفا براون) صديقته .. وبقية المنازل للسكرتارية والأعمال الأخرى الخاصـة بهتلر .. قليلون جـدا يسـمح لهم بالولوج من الباب الرئيسى .. وانه لشرف عظيم لأى مواطن أن يسمح له بالدخول .. على أن المكوث فى المبنى لم يكن أمرا يدعو للبهجة .. فقد كانت اجراءات الأمن فيه ليست عادية بالنسبة للضيوف .. فضلا عن طبيعة هتلر نفسه .. انه لا يحفل كثيرا بهم !

وتذكرت أن هتلر اراد أن يقضى يوما هادئا فى قصره الكبير فى ميونيخ .. بعيدا عن العمل ..

واكملت خلع ملابسى .. وارتديت البيجاما .. وذهبت الى حجرة نومى الخاصة .. ولكنى قفزت من مخدعى على أثر خاطر ورد على ذهنى أزعجنى جدا .. لقد علم بهذه الرحلة الخطيرة ثلاثة آخرون بينهم اثنان ليسا على مستوى المسئولية اطلاقا .. فقد أطلع مساعدى كابتن (بينتش) كلا من السـائق والحـارس على خطابى !! .. فقمت مذعورا .. واتصلت بمساعدى (بينتش) تليفونيا ، وطلبت منه أن يجىء فورا ومعه السائق والحارس ..

ـ هل ممكن أن نرجىء ذلك الى الصباح سيدى .. فانا مرهق جدا .. ؟ هكذا قال (بينتش) فصرخت فيه آمرا :

ـ ابدا .. لقد خاصمني النوم منـذ عرفت ان هـؤلاء عرفوا خطتنا السرية .. احضروا فورا !

ـ سمعا وطاعة !

وبدات أفكر .. لا بد من معالجة الموضوع مع هؤلاء بحكمة بالغة .. لو كانوا مخلصين حقيقة ممكن شرح الموضوع لهم ، مع بيان مدى خطورته ، ثم وضعهم على مستوى المسئولية .. ولو كان هناك أدنى شك صغير في اخلاصهم للدولة النازية فلا بـد من اعدامهم فورا .. وبسرية تامة .. وبمنتهى السرعة !

وفي صالون منزلي بالدور السفلي .. اجتمعت بهم ، وشرحت لهم الموضوع كاملا .. فشعرت بأنهم فخورون بي .. رجل في مثل سني ومركزي يتحمل مسـئولية قيـادة طائرة في هـذه المرحلة الخطيرة .. ثم الهبوط بالبراشوت على ارض العدو .. انه لشيء يدعو للفخر والاعتزاز أن يعملوا مع مثل هذا الرجل المخلص للدولة النازية .. هكذا قالوا .. قالوها بأخـلاص حقيقي .. بل كادوا يعانقونني من شدة اعجابهم بي .. ومع ذلك لم أتركهم الا بعد أن اقسموا على كتمان السر !! .. لقد اقسموا جميعا بشرف الدولة الألمانية على كتمان السر !!



حتى كان يوم ١٠ مايو ١٩٤١ .

حينما جاءت تنبؤات الارصاد الجـوية تؤكد أن الجـو ملائم للقيام برحلة ناجحة .

وفي الصـباح الباكر من ذلك اليـوم اتصلت بمسـاعدي (بينتش) وايقظته من فراشه لأقول له ..

ـ صباح الخير يا بينتش .. اليوم موعدنا .. ساطير في السادسة مساء .. هل تحضر فورا ؟

ـ سمعا وطاعة .

وعندما جاء بينتش الى المنزل قلت له :

ـ لن اذهب الى المكتب اليوم .. ولن اغادر البيت .. وعليك ان تمكث بمكتبي بالدور السفلي لتتلقى اى محادثات من الخارج ..

ولبست بدلة رمادية مدنية .. وقمت بجولة على قدمي في الحديقة الواسعة المحيطة بمنزلي .. وحمت حول حمام السباحة .. كانت الساعة لا تزال السادسة والنصف صباحا .. وبدات افكر في ان اقضى كل اليوم مع زوجتى وابنى .. ثم عدت الى المنزل ..

كانت (الزى) زوجتى فى حجرة نومها تقرأ كتابا عندما دخلت عليها اسالها :

ـ ماذا تقرأين يا (الزى) ؟ ؟

ـ كتاب ((طيار فوق قمة ايفرست)) .. وهو سرد لأول رحلة طيران فوق قمة ايفرست قام بها الدوق هاملتون ..

فقلت لنفسى :

ـ يا لسخرية القدر .. انها مفارقات تصلح موضوعا للسينما .. زوجتى تقرأ فى هذا اليوم بالذات كتابا عن مغامرة في الطيران .. ومن يقوم بها ؟ .. انه الدوق هاملتون الذى ساسافر الليلة لاهبط بجوار قصره لاقابله في اخطر لقاء سياسى عالمي فى العصر الحديث ..

.. وامسكت بالكتاب بعد ان أطبق الصمت على فمى .. وقلبت صفحاته .. واخذت احدق طويلا فى صورة الدوق !!

◆ ◆ ◆

وعند الظهر جاءنى تليفون من البوابة الرئيسية لبيتى يخبرنى ان روزنبرج نائب هتلر الثالث وأستاذ الايديولوجية الاشتراكية

الوطنية لالمانيا النازية وصل الآن .. ودخل بسيارته .. وهو فى طريقه الى حجرة الضيوف .

ونزلت فورا لاستقباله ..

ـ هاى رودلف

هكذا هتف بى روزنبرج حينما رآنى

ـ هاى .. هل من تعليمات جديدة ؟

هكذا سألته ملهوفا .. ولكنه قال :

ـ أبدا .. لقد أرسلنى الفوهرر لكى ندرس معا بعض نقاط الموضوع قبل أن تطير .

وجلسنا ساعة كاملة .. وقلت له وأنا أودعه :

ـ سأتصل بالفوهرر قبيل رحيلى فى رقمه السرى على أى حال ..

ـ لا داعي لذلك اطلاقا .. سافر انت ..



وتناولت طعام الغداء مع زوجتى « الزى » وابنى « ولف روديجر » .. ثم ذهبت (الزى) الى حجرة نومها ، ونزل ابنى (٤ سنوات) الى الحديقة ليلعب ، ودخلت حجرة المكتب ، لاكتب رسالتين :

رسالة لزوجتى ، والأخرى لهتلر مرة أخرى .. شرحت فى الرسالة الأولى كل شيء لزوجتى .. شرحت لها كل الموضوع بكافة تفاصيله واحتمالاته .. أما الرسالة الأخرى فكانت لهتلر ؟ اطلب منه : بل أرجوه أن يعتبرنى مجنونا خائنا ان فشلت فى مهمتى وأن أغضب من ذلك .. لاننا بعد ذلك سنلتقى حتما عندما تغزو الجيوش الالمانية المنتصرة .. لندن !!

ثم فكرت اين اضع هاتين الرسالتين ؟

قررت أن أضعهما فى الخزانة الحديدية .. حيث بقية حاجياتى ونقودى ومتعلقاتى التى يجب أن أتركها كلها لزوجتى (الزى) .. وابنى الصغير ..

اذن .. اين اضع مفتاح الخزانة ؟

اريد أن أضعه فى مكان تعرفه زوجتى ، لكى تتسلم الرسالتين وبقية متعلقاتى .. اذا لم أعد .. بسرعة !!

واخيرا اهتديت الى فكرة !

أخذت الدبابة الصغيرة التى يلهو بها ابنى (ولف روديجر) من حجرة نومه ، ووضعت المفتاح فيها .. ووضعت الدبابة على مكتبى .. فاذا ما افتقد الابن الدبابة وبحثت الأم عنها وجدتها فى حجرة مكتبى ، وتعثر بالتالى على المفتاح .. أو ربما تسمع أخبارى ، وتدخل مكتبى بدافع حب الاستطلاع ، فتجد الدبابة الصغيرة على المكتب فتتعجب من وجودها فى هذا المكان ، وتمسك بها ، فتعثر بالتالى على المفتاح .. !

**** والآن .. في عام ١٩٧٠ .. اقول انني لم اندم علي شيء عندما تحول بيتي الكبير الي انقاض تحت وابل قنابل الحلفاء .. الا لضياع هاتين الرسالتين التاريخيتين ! .. أنا لست مجنونا ولا خائنا !! .. أنا الذى « رجوت » هتلر أن يعتبرني كذلك .. من اجل بلادى .. المانيا !!**

والآن الساعة الخامسة بعد الظهر .. لابد من الرحيل فورا .. السيارة مستعدة أمام باب المنزل الداخلى وبها مساعدى (بنيتش) .

ارتديت ملابسى بسرعة .. ومررت على حجرة نوم (الزى) زوجتى .. وايقظتها لأقول لها :

ـ الزى .. لقد تلقيت مكالمة تليفونية عاجلة الآن .. سأسافر خارج برلين فورا ..

ـ متى ستعود ؟؟

ـ من يدرى ؟

وقبلت زوجتى لاقول لها :

ـ الى اللقاء يا الزى

وبينما كنت اهم بركوب السيارة ، سمعت صوت ابنى الصغير (٤ سنوات) يلهو فى الحديقة .. فتوقفت ، وطلبت استدعاءه فورا .. وحملته .. وقبلته .. وقلت له :

ـ الى اللقاء ..

ـ الى اين يابابا ؟؟

ـ ساسافر اليوم

ـ متى ستعود ؟

ـ قريبا ..

** وكانت هذه آخر مرة أراه فيها .. لم اره ـ منذ ذلك التاريخ : الساعة الخامسة مساء يوم ١٠ مايو ١٩٤١ ـ الا فى الساعة العاشرة صباح يوم ٥ يناير ١٩٧٠ .. بعد ٢٩ عاما !!

واخترقت السيارة طريق (أوتوباهى) الى المطار حيث كان فى استقبالى مدير المطار (هربيهى) .. وفتح المدير الطريق الموصل الى باب الطائرة مباشرة .. وسارت السيارة الى أن وقفت تقريبا تحت جناح الطائرة الرمادية الفضية البريق .. كانت الطائرة تبدو رشيقة أنيقة .. ولكن اصغر من أن تستطيع القيام برحلة خطيرة لها تاريخ ..

وادى لى (هربيهى) التحية العسكرية .. ليقول لى :

ـ كل شىء تمام .. الآن !

فشكرته بتحية عسكرية أخرى .. وركبت الطائرة وانسحبت السيارة بعيدا عن الطائرة بعد أن أدرت محركات الطائرة ...

وبدات الطائرة تخلع عجلاتها من فوق الأرض الالمانية ..
وكانت آخر مرة تلمس فيها هذه الأرض .. للأبد !!

وكان على ان اشق طريقى شمالا عبر اراضى المانيا ، ثم هولندا ثم بحر الشمال .. حتى جزيرة (هولى ايلاند) ..

كانت السماء صافية تبدو جميلة مبتسمة .. وكنت استطيع ان ارى خط الزبد الأبيض الناجم عن ارتطام الموج بالشاطىء البريطانى ..

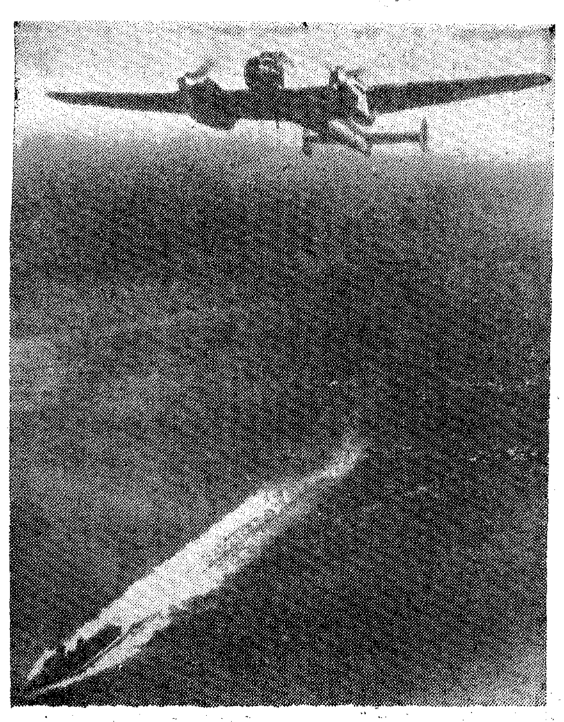
وسرحت أكثر من مرة .. وانا أحلم .. ترى هل سانجح فى مهمتى ؟ .. هل ستصبح المانيا وبريطانيا حليفتين لنهاجم سويا روسيا ونقضى عليها ؟ .. هل سينتصر الجنس الآرى ويسود العالم كله كما تعلمنا فى الكتب ونحن شباب ؟؟

ومن آن لآخر كنت اتتبع خط السير المحدد لى لكى اصل الى « دونجافل هاوس » حيث يقطن دوق هاملتون ..

آه .. ها انا الآن قد وصلت فعلا فوق « دونجافل هاوس » .. ونزلت بالطائرة فى طيران منخفض للغاية .. ولكنى لم اتبين مطارا استطيع الهبوط فيه .. فقررت فى لحظة جنون أن اقفز بالبراشوت .. ورغم أنى لم استخدم البراشوت فى حياتى الا انه كان الحل الوحيد أمامى ..

وهبطت بالبراشوت لأول مرة فى حياتى .. وتركت الطائرة وحدها بلا قائد تتخبط فى الجو بعيداً عنى .. وكانت تنتظرنى مفاجاة .. المظلة لم تنفتح كلها فارتطمت ركبتى بالأرض ، وشعرت بالم حاد فى قدمى اليمنى !!

ولم استطع أن انهض من مكانى فورا .. ولكن ما هى الا نصف دقيقة حتى امتدت الى يد قوية تساعدنى على القيام ..
كانت يد المزارع « دافيد ماكلين » قائد الجرارات فى المزرعة التى هبطت فيها ..



كانت طائرتى تبدو جميلة رشيقة أنيقة .. كانت رمادية اللون لها بريق .. ولكنها أصغر من أن تستطيع القيام برحلة خطيرة لها تاريخ ..



وقضيت يوم ١٠ مايو كله مع زوجتي (الزي) وابني الصغير (ولف) الذي قال لي : متى ستعود يا بابا .. فقلت له : قريبا .. ولم اره منذ ١٠ مايو ١٩٤١ الا في يناير ١٩٧٠ !!

وصلت إلى بريطـانيـا

وصلت الى بريطانيا .. على ما ذكرت فى الفصل الأول .. وظللت انقل من سجن الى سجن .. حتى نزلت فى مستشفى ملحق بسجن مارى هيل .. وسألونى عن اسمى ، فقلت :

ـ هوفمان هورن .. ضابط المانى .. يريد ان يقابل دوق هاملتون بشأن امر هام جدا .. جدا ..

وكانت الخطة الا اذكر اسمى .. لمن سيقابلونى أولا من الضباط أو الجنود .. على أن اكشف عن شخصيتى أمام دوق هاملتون فقط .. اذ أن من الخطورة بمكان أن يعرف جندى غير مسئول أو حتى ضابط صغير أن هذا الاسير الأعزل من السلاح الذى أمامه هو الرجل رقم « ٣ » فى العالم كله !! .. فربما تهور وضغط على زناد مسدسه !

ـ المهم هو علاج ساقك أولا ..

هكذا قال لى مأمور السجن

ـ ان الأمر أهم من ساقى .. ما عندى من كلام على جانب كبير من الخطورة ، ويهم الدوق هاملتون أن يعرفه شخصيا وبأقصى سرعة .. أرجوك أن .. اتصل به فورا .. اما ساقى فأمرها ميسور فيما بعد

وبعنجهية الامبراطورية البريطانية « شخط » الضابط وصاح في وجهي :

ـ صه .. ايها الضابط الأسير .. ما بالك ؟ .. انت هنا تؤمر لتطيع فقط .. ليس لك أن تتحدث معنا بهذه الطريقة .

وفكرت هنيهة .. ماذا افعل مع هذا الضابط المتعجرف الذي يلعب بالنار ؟ .. ان الدقائق محسوبة .. ان هتلر ينتظر الآن دقيقة بدقيقة ما ستصدره بريطانيا من بيانات عني .. ومن هذه البيانات سيعرف مصير رحلتي ويتصرف بسرعة .. ان الرايخ الالماني على اعلى مستوياته مجتمع الآن مرهف السمع .. وهذا الضابط الابله يتحكم في مصير البشرية كلها دون أن يدري !! .. ماذا أفعل الآن ؟ .. لقد تذكرت ما كان قد قاله لي استاذي هوشوفير ان الكذب الأبيض في الديبلوماسية مباح من اجل الصالح العام .. وهنا قلت للمأمور المتعجرف :

ـ ان دوق هاملتون في انتظاري الآن .. وهو يريد أن يعرف أن ضابطا المانيا اسمه هوفمان هورن جاء من المانيا خصيصا لمقابلته فورا .. وارجو لكيلا يصيبك سوء في المستقبل ان تقوم بهذا التبليغ بسرعة .. هذا من أجلك انت أولا ..

والآن تعال معي .. لنر سويا كيف وصل الأمر الى دوق هاملتون .. وماذا فعل ؟!

* * *

كان دوق هاملتون من اكثر الناس اهتماما بالطائرة الألمانية التي جاءت الى اسكتلندا ، نظرا لطيرانها المنخفض المفاجيء فوق « دونجافل هاوس » حيث قصره .. وكان الدوق في هذه الليلة بالذات مرهقا للغاية .. وما ان جاءه النبأ « السعيد » !! بأن الطائرة سقطت واشتعلت فيها النيران حتى هدأت نفسه ، وراح في نوم عميق .. ولكن لم يستمر النوم سوى ساعات قليلة ؟ حينما جاء تليفون عاجل يقول له !

ـ هل تسمحون سيدى الدوق بالحضور فورا الى سجن مارى هيل ؟؟ .. ان لدينا نبا هاما يجب أن تعرفه فورا ..

وتعجب الدوق .. نبأ هام فى سجن !! ؟؟ .. وفى هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟؟ .. اى نبأ يكون ؟ .. وكان الدوق قد نسى حكاية الطائرة تماما . وما ان دخل السجن حتى قيل له :

ـ انالطائرة التى كانت تحوم حول قصرك كان بها شخص المانى يدعى ((هوفمان هورن)) يقول انه طيار وانه يريد ان يتحدث معك فى أمر عاجل وخطير .

ولم يستطع الدوق هاملتون أن يتصور أى موضوع هام يمكن لطيار المانى أن يناقشه معه .. فى هذه الساعة المتأخرة من الليل !! .

◆ ◆ ◆

وعندما دخل الدوق حجرتى تعرفت عليه فورا من صورته التى رأيتها فى كتاب « طيار فوق قمة ايفرست » الذى كانت تقرؤه زوجتى « الزى » فى صباح يوم سفرى .. فقلت له :

ـ مرحبا بالدوق هاملتون

فسألنى الدوق باستغراب :

ـ هل تعرفنى أيها الطيار ؟

ـ نعم بكل تأكيد .. وأنت تعرفنى أنا أيضا

فتفرس الدوق فى وجهى ، وقال لى :

ـ يبدو أن ذاكرتى ضعفت .. وجهك ليس غريبا .. ولكنى غير متأكد تماما من اسم هوفمان هورن .

ـ يجب أن أتحدث معك على انفراد .. انها مسألة بالغة الخطورة .

فنظر الدوق خلفه ، نظرة كفيلة بان ينسحب على اثرها فورا ياوره الخاص ومأمور السجن .. وأمر الدوق الياور بأن يغلق الباب خلفه ، ولا يسمح لأحد بالدخول .. والا يبتعد كثيرا عن الباب .. ثم نظر الى .. وقال :

ـ تستطيع أن تتحدث الآن كما تريد ..

ـ انا وزير الرايخ الالمانى رودلف هيس

هكذا بادرته .. فليس هناك وقت لتضييعه اكثر من هذا .

وذهل الدوق .. واتسعت حدقتا عينيه .. وبعد أن حملق فى وجهى لحظة ، قام من مكانه ، وقال لى هاتفا :

ـ حقيقة أنت شديد الشبه برودلف هيس .. ولكنك تقول ان اسمك هوفمان هورن .

فشرحت له السبب .. ثم اطلعته على جواز سفرى .. وعندما أمسك الدوق بجواز سفرى كاد أن يغمى عليه .. ثم قال لى :

ـ أيها الضابط الأسير .. اننى أكاد أصدق الآن انك رودلف هيس .. ، وهذا أمر بالغ الخطورة والأهمية .. لذا اريد اثباتا اكثر من مجرد جواز سفر ممكن تزويره .

ـ ايها الدوق .. ان مئات المسئولين عندكم يعرفوننى جيدا . فهذا ليس بالأمر الخطير .. ويجب الا نضيع وقتنا فى هذه النقطة .. أنا أريد ان اشرح لك لماذا جئت الى هنا لكى انهى مهمتى بسرعة . وأعود الى بلدى !!

وبدأت اتحدث معه عن شخصية هتلر وابعادها المختلفة !! . وسبب الحرب .. و .. و .. ولم أصل بعد لصلب الموضوع حينما قاطعنى الدوق قائلا !

ـ يستحسن أن أستعين بمترجم .. فيبدو لى أن لغتك الانجليزية لا تساعدك على ما تريد أن تقوله .

فصرخت فيه قائلا :

ـ ابدا .. ليس الآن .. اذا كان لابد من مترجم رسمي .. فعندما اجتمع بالساسة البريطانيين

وهنا سألني الدوق :

ـ هل تناولت عشاءك ؟

ـ ابدا ..

ـ كل شيء سيكون على ما يرام الآن .

وهم الدوق بالانصراف ، ولكنني صرخت فيه قائلا :

ـ أيها الدوق .. انك لم تعرف لماذا جئت انا الى هنا .. انا جئت الى هنا ومعي « شروط السلام مع بريطانيا » !!

اوقفت هذه الكلمات الدوق في مكانه .. وسمرت قدميه فترة .. واصيبت كل اعضائه بالشلل المؤقت فتوقف تماما عن الحركة من شدة ذهول المفاجأة .. وبعد فترة تحرك الدوق .. وخرج من الحجرة .. وأمر بنقلي فورا الى جلاسجو لأن « هذا الاسير على جانب كبير من الاهمية » .. وذلك بعد أن يتناول عشاءه .. وتقدم له فورا كل طلباته من المشروبات ..



ونزل الدوق وذهب مسرعا بسيارته الى قاعدة « تيرن هاوس » باسكتلندا .. حيث استقل طائرته الخاصة ماركة « الهاريكين » وسافر الى قاعدة « مورثولت » الجوية بالقرب من لندن .. وحاول الاتصال تليفونيا بمقر ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني .. فوجده قد سافر مساء السبت ليقضي يوم الأحد كله .. في قصره الريفي في « ديتشلي بارك » .. فقال الدوق هاملتون لسكرتير تشرشل الخاص .

ـ ساطير فورا الى هناك .. وارجوك ان تتصل به الآن لتبلغه انني أريد مقابلته فور وصولي ..

كانت الساعة قرب فجر الأحد .. فدهش السكرتير ونصحه بأن ينتظر حتى الصباح ، لأن رئيس الوزراء سينام الليلة ، ولا يمكن ايقاظه اطلاقا .. الا فى حالة واحدة فقط .. هى حالة حدوث غزو برى لبريطانيا ! !

كانت هذه هى تعليمات تشرشل شخصيا لسكرتيره .. فحاول الدوق ان يقنع السكرتير بأن الموضوع لا يقل اهمية عن الغزو البرى !! ولكن دون جدوى !

وسافر الدوق فى الصباح ـ أى بعد ساعات قليلة ـ الى مطار قريب من (ديتشلى بارك) حيث وجد سيارة سوداء (رولزرويس) فخمة فى انتظاره .. انها سيارة تشرشل الشخصية .. وعندما وصل الدوق الى قصر تشرشل الريفى ، وجده جالسا فى شرفة القصر الخارجية .. وما أن تقدمت السيارة نحو السلم العريض المؤدى الى الشرفة حتى نزل تشرشل ، واستقبل ضيفه عند باب السيارة قائلا :

ـ مرحبا ايها الدوق الشاب .. ما سر حماستك ليلة أمس .. لقد ابلغنى السكرتير منذ ساعتين انك متلهف لمقابلتى لأمر هام وخطير .

ـ سيدى رئيس الوزراء .. الأمر اخطر من أن اتحدث معك بشأنه أمام هؤلاء وكان فى الشرفة وفى الحديقة وعلى سلم القصر أناس كثيرون .

فتأبط تشرشل ذراع ضيفه الدوق .. وصعدا سويا الى غرفة المكتب .. وكان هناك سير (ارشيبالد سنكلير) وزير الطيران البريطانى .. فالتفت تشرشل الى الدوق .. وقال متسائلا :

ـ يبدو ان لا ضرر من وجود الوزير ؟

فقال الدوق : طبعا ... طبعا .

ثم روى الدوق القصة كاملة .. طائرة تحوم حول قصره فى (دونجافل هاوس) .. ثم هبوط قائدها ، وزعمه انه ضابط المانى يدعى هوفمان هورن ، واصراره على مقابلة الدوق .. ثم ما كان من حديث مع هذا الضابط الذى بداه بانه هـو وزير الرايخ الألمانى رودلف هيس ، وما قاله بعد ذلك من كلام كثير .. انهاه بعبارته المشهورة « انا احمل شروط السلام مع بريطانيا » !!

وساد الصمت فترة ليست بالقصيرة .. وتبادل تشرشل ووزير الطيران نظرتين معبرتين ، أدرك الدوق منهما كم تبدو روايته بعيدة عن التصديق .

وفجاة قطع تشرشل الصمت قائلا :

ـ أنا ذاهب الآن .. لمشاهدة اخوان ماركس !

ومرت دقائق قبل ان يدرك الدوق ان رئيس الوزراء لم يكن يقصد السخرية منه .. بل ان تشرشل وهتلر ، وهما يعملان باقصى جهد ، يحمل كل منهما فوق كتفيه مصير دولة ، بل مصير العالم كله لسنوات عديدة .. لو لم يكن كل من الرجلين متمسكا بأن يمنح نفسه يوم راحة فى الأسبوع ، لقصم ظهره من فرط الاجهاد .. فمثلا فى يوم ٢ مايو ١٩٤١ .. عندما سافرت أول مرة الى اسكتلندا ، ولم أستطع تكملة الرحلة وعدت ، كان هتلر قد منح نفسه أجازة لمدة ٢٤ ساعة يقضيها مع صديقته (ايفا براون) بعيدا عن مكان السلطة !!

وتأبط تشرشل ذراع الدوق ، ودعاه لمشاهدة فيلم اخوان ماركس .. وبعد انتهاء الفيلم بدأ تشرشل موفور الحيوية متجدد النشاط .. ودعا الدوق الى الغداء مع وزير الطيران .. وظل يستجوبه لمدة ساعة كاملة .. حتى سأله :

ـ ولكن هل انت واثق مائة فى المائة من ان هذا الرجل هو رودلف هيس ؟

ـ اعتقد .. فقد ذكر لى اسم البروفيسور كارل هوشوفير . وهو صديقي واستاذى .. ولا اعتقد ان احدا غير هيس ومن فى مستواه يمكن أن يعرف هذا الرجل .

واسترخى تشرشل فى مقعده الوثير .. وبعد أن نفث عدة دفعات من سيجاره الضخم قال عبارته التاريخية المشهورة :

ـ الدودة فى البرعم !!!

ثم وقف ومشى الى نهاية الغرفة .. ونظر من خلال النافذة فى المروج الخضراء الممتدة حول قصره الريفى . وقال :

ـ اذا كان الطيار الالمانى هو هيس حقيقة .. فأول خطوة هى التأكد من شخصيته .. ثم التعرف علي وجهة نظره كاملة .. على أن يتم ذلك في اقصى سرعة ممكنة .

وتناول تشرشل التليفون .. وطلب وزير خارجيته أنتونى ايدن .. وظل يتحدث معه ربع ساعة كاملة .. وختم كلامه معه بقوله :

ـ اذا كان هذا الطيار هو هيس فعلا .. فربما يكون قد اختلف مع هتلر وجاء هاربا .. الموضوع يجب دراسته بمنتهى الدقة .. وعليك الاتصال بسير الكسندر كادوجان فهو يعرف هيس شخصيا .. والدوق هاملتون الآن في طريقه اليك .

◆ ◆ ◆

وكان ايدن قد عرض على تشرشل أن يهرول اليه فى منزله الريفى ، ليبحث معه الموضوع شخصيا بدلا من التليفون .. ولكن تشرشل ، وقد بدا عليه الاهتمام الشديد رفض عرض ايدن بشدة وقال له :

ـ نحن فى حاجة الى حركة سريعة الآن ..

لذا استدعى ايدن على وجه السرعة الكسندر كادوجان ، وروى له تفاصيل الموضوع ، فاتصل كادوجان بدوره تليفونيا



عندما دخل على دوق هاملتون عرفته فورا من صورته المنشورة فى كتاب « طيار فوق قمة ايفرست » الذى كانت تقرؤه زوجتى صباح يوم سفرى .. فتعجب الدوق وسألنى : هل تعرفنى ؟.. فقلت له : وأنت تعرفنى جيدا أيضا !

بشخص اسمه ايفون كير كباتريك بمقر الاذاعة البريطانية ، وكان كير كباتريك فى هذا الوقت يتولى منصب المدير العام للبرنـامج الاوروبى .. ويجيد الالمانية تماما .. فقد كان يعمل سـكرتيرا اول فى السفارة البريطانية فى المانيا منذ عام ١٩٣٣ حتى أول عام ١٩٣٩ ... وبالتالى يعتبر ايضا خبيرا فى مسائل النازى .. اكثر من هذا كله انه كان دائم الاتصال بى عندما كان معنا فى برلين بحكم عملى وزيرا للرايخ الالمانى . الوزير المسئول عن التوجيه السياسى الايديولوجى .

وصدرت التعليمات السريعة .. لاعداد طائرة تنقل الثلاثة :

الدوق هاملتون ، الكسندر كادوجان ، ايفون كيركباتريك

وكنت قد نقلت الى قلعة بوتشانان قرب جلاسجو طبقـا لتعليمات الدوق .. حيث تمت مقابلتى التاريخية مع رسـل تشرشل .

الفصل الخامس

لقائى مع ونستون تشرشل

ـ أنا الآن فى قلعة بوتشانان قرب جلاسجو .. قلعة حربية لم تكن معدة لأن تكون سجنا فى يوم من الأيام ..

كانت الساعة العاشرة مساء حينما سمعت عند الباب حركة غير عادية .. وكلاما كثيرا .. ووقع اقدام تصعد السلم الحديدى المؤدى للغرفة !!

وفجاة فتح الباب ، ورايت كل المسئولين عن القلعة ومعهم الدوق هاملتون وشخصان آخران عرفتهما بمجرد وقوفهما تحت الضوء الخافت الذى يتوسط الحجرة .. أحدهما الكسندر كادوجان الذى قابلته مرارا فى اثناء عقد معاهدة ميونيخ مع تشمبرلين .. ثم هذا الصديق القديم الذى عاشرناه طويلا منذ قيام « الدولة الالمانية الاشتراكية الوطنية » بقيادة هتلر فى ٣٠ يناير ١٩٣٣ حتى يوم اعلان الحرب فى سبتمبر ١٩٣٩ .. أنه ايفون كيركباتريك .. وهتفت .. وهتف الكسندر وايفون كلنا هتف فى وقت واحد :

ـ مش معقول .. يالها من مفاجاة .

ولم يكن ذلك معقولا فعلا .. أنا وزير الرايخ الألمانى المنتصر .. ثالث رجل فى العالم !!! .. محبوس فى قلعة متهدمة اسمها بوتشانان .. داخل حجرة لها باب خشبى سميك وسقف مائل ، ألبس بيجاما رمادية من بيجامات الجيش البريطانى المصنوعة من

قماش الفانلة .. وأنام على سرير حديدى مغطى ببطانية من بطانيات الجيش البريطانى القاتمة اللون !

وقضى الكسندر وايفون لحظات ينظران لى بعين الدهشة ثم يجيلان البصر فى الغرفة .. كأنى بهما يقارنان بينها وبين قصرى الكبير فى المانيا المحاط بحديقة شاسعة فيها حمام سباحة وردى اللون ، وبوابة على شكل قوس النصر بباريس .. فى هذه البوابة حرس مدجج بالسلاح وتليفون ..

ومع ذلك كنت فى منتهى السعادة فى هذه اللحظة .. فاخيرا اخيرا .. وصل اثنان على مستوى المسئولية ، احدهما يجيد الالمانية .. لقد بدأت مهمتى فعلا .. لقد انتهت كل المتاعب الأولية المتوقعة من قبل حضورى .. وكنت أعلم مقدما اننى سأقضى يوما أو يومين على الأقل فى متاعب مع الجنود والضباط الصغار البعيدين عن مستوى المسئولية .. وكان كل من هوشوفين وروزنبرج يؤكدان لى ذلك أيضا .. وكان على ان ادفع ثمن المغامرة التى قمت بها من أجل انقاذ الجنس الآرى كله .

بل اننى كنت متوقعا متاعب أكثر مما لقيت .. ما دام اسمى هو « هوفمان هورن » الطيار الالمانى الاسير .. الى أن أجد اذرعا مفتوحة مرحبة عندما يتأكد البريطانيون أن اسمى هو « رودلف هيس » وزير الرايخ الالمانى .. وها قد وصل اثنان من كبار المسئولين البريطانيين يعرفان — على وجه القطع واليقين — شخصيتى .

◆ ◆ ◆

ثم بدأ الحوار السياسى .. أو على الاصح والاكثر دقة .. بدأت مهمتى ..

لقد أوضحت بكل جلاء فى البداية — وكان هذا ضروريا فى نظرى — أوضحت حسن نيات الفوهرر ، واخلاصه للجنس الآرى .

وتكلمت عن تاريخ هتلر كله .. وكيف انني عرفت هذا التاريخ اكثر من اي شخص آخر في هذا العالم .. بل ان كتاب « كفاحي » الذي ألفه هتلر في السجن معظم نقاطه من وضعي أنا .. ثم تكلمت عن علاقتنا باستاذنا كارل هوشوفير .. مستعينا بالدوق هاملتون الذي تتلمذ ايضا على يد هوشوفير .. واوضحت كيف أن المانيا وبريطانيا من جنس آري واحد ، هذا الجنس الذي يجب ان يسود العالم كله .

واستمر عرضي الايديولوجي هذا لمدة ساعة كاملة ..

ويبدو لي أن زواري الثلاثة لم يقتنعوا تماما بكلامي .. فقد كانوا يتبادلون النظرات بطريقة تؤكد انهم غير مصدقين ما اقول .

ولكني واصلت بسط مهمتي باسهاب .. كما اتفقت مع هوشوفير وروزنبرج قبيل الرحيل .. فقدمت بعد ذلك عرضا مطولا للعلاقات التاريخية بين المانيا وبريطانيا خلال الاربعين سنة الماضية .. واكدت لهم « بطريقة عملية !!! » كيف ان حقوق شعب المانيا كانت باستمرار تمتهن بواسطة بريطانيا !

وكان من المقرر ان اتحدث في هذه النقطة وحدها ٩٠ دقيقة . ولكنني فوجئت بايفون كيركباتريك يقاطعني ويطلب مني في حسم أن أجيب على سؤال محدد ! .. ولم اكن قد تعودت من ايفون هذه اللهجة من قبل ، فايفون كان حينما يتحدث معي في المانيا يبدأ عباراته بكلمات مهذبة ، فيها احترام ورجاء .. بل خشوع وانحناء ايضا ! .. ولكنه اليوم ها هنا يقول لي بلهجة جافة غريبة :

ـ هر رودلف .. نحن لا نريد درسا في العلوم السياسية ولا في التاريخ .. نحن نريد منك باختصار شديد أن تجيبنا على سؤال محدد .. هو : لماذا جئت الى هنا ؟

وكان من المستحيل على ان اجيب على هذا السؤال بمثل ما يريد .. انه حوار سياسى فيه عصارة افكار جيل بأسره .. انه عصير قراءات ودراسات دامت نحو نصف قرن !! .. ما هذا (الابله) البريطانى الذى يريد ان يحدد مصير العالم والبشرية على طريقة حوار السينما !! .

فلم اسأل عنه .. وواصلت سرد الكلام الذى اعددته من قبل .. وذاكرته مرارا بينى وبين نفسى .. ولكن (الابله) البريطانى عاد يقاطعنى ليقول :

ـ سيدى وزير الرايخ .. كلمات محددة نريدها ... ان كلامك هذا يصلح لاجتماع سياسى كبير او مؤتمر حزبى .. ولكننا الآن نريد منك باختصار شديد الاجابة على سؤال واحد مختصر هو : لماذا جئت الى هنا ؟

فقلت له :

ـ اذا أردت الاختصار ، فاننى جئت الى انجلترا لاقنع المسئولين فيها بأن لا امل لهم فى كسب الحرب ، ولعل هذا واضح تماما الآن أكثر من أى وقت مضى .. وأن مجيئى الى هنا ((هدية من السماء)) تهيأت لبريطانيا لكى تنقذ نفسها وتتفاوض معنا من اجل السلام .. ومعى كل الصلاحيات من أجل تفاوض كامل ..

وتوقفت عن الكلام .. لقد اعطيتهم ما أريد بدقة ، وباختصار وبوضوح ، وكما اتفقنا عليه بالحرف الواحد .. ثم توقفت عن الكلام فى هذه اللحظة ، لكى اترك لكلماتى هذه أن تعطى انطباعها فى اذهانهم ، وتترك اثرها العميق فى نفوسهم !!



وهنا سألنى كيركباتريك :

ـ هل ينوى هتلر أن يغزو بريطانيا اذا فشل التفاوض معك من اجل السلام ؟

كان سؤالا مفاجئا لم نتوقعه ـ لا أنا ولا أى من هوشوفير او روزنبرج ـ وذلك لسبب بسيط : وهو أننا لم نفكر لحظـــة فى عملية الغزو هذه ، لذلك قلت له ، كاشفا أوراقى اكثر واكثر :

ـ ان الفوهرر مستعد تماما لعقد صلح مشرف مع بريطانيـا بهذه الشروط .. سيطرة المانيا الكامـــلة على اوروبا مع اعادة المستعمرات الالمانية القديمة اليها ، واستمرار سيطرة بريطانيا على امبراطوريتها فيما وراء البحار .. مع تعهد كتابى متبادل بين الدولتين على احترام كل منهما للآخر ..

ثم سألنى كيركباتريك بناء على توجيه من الكسندر كادوجان :

ـ وهل هتلر مستعد للمجىء الى لندن أم سيقابل تشرشل فى بلد محايد مثل اسبانيا .. ما هو تصوركم لهذا اللقاء ؟

وكانت الاجابة على هذا السؤال محددة وجـــاهزة .. لأن السؤال كان متوقعا طبعا .. فقلت له على الفور :

ـ اولا أنا أحمل معى تفويضا كاملا من الرايخ الالمانى للتحدث باسمه لكى نتفق على كل شىء .. ولا نترك لهتلر الا التوقيع .. مكان التوقيع أمر لن نختلف عليه .. وان كان الرايخ الألمانى يفضل مدينة برشلونة على الساحل الاسبانى مكانا ((لمؤتمـر الصلح التاريخى)) . ولكن هناك شرط هام قبل التوقيع ، وهو ان تغيروا رئيس وزرائكم ونستون تشرشل قبيل التوقيع .. لأن هتلر يرفض بحزم وحسم أن يوقع اتفاقية مع هذا الرجل .. ولكن هذا لا يمنع من أننى مستعد للتفاوض مع الوزارة الائتلافية الحالية الموجودة تحت رياسته ، على شرط أن تعينـوا رئيس وزراء جديدا قبل السـفر الى ((مؤتمر الصـلح فى برشلونة)) .

وهنا وقف زوارى .. ثم التفت الى الدوق هاملتون ، وهو يهم بالانصراف وسألنى :

ـ هل لك طلبات معينة هنا ؟

فقلت له بتفاؤل شديد :

ـ نعم .. أنا أحتاج خلال فترة اقامتى فى بريطانيا الى سكرتير خاص لى على أن يكون ألمانى الجنسية .. ولو أرسلتم لى كشوف الأسرى الألمان عندكم فسأختار السكرتير اللائق من بينهم كذلك احتاج لمنزل قريب من لندن وملابس مدنية .. !

وهنا تبادل الدوق مع الكسندر وايفون النظرات .. وصمتوا جميعا فترة .. ولكن الدوق قطع الصمت .. وقال :

ـ هل تكتب (التماسا) بهذه الطلبات لرئيس الوزراء ؟

ـ التماس !!!

هكذا هتفت فى وجهه بصيغة الاستنكار الشديد .. فحتى هذه اللحظة لم اكن أتصور لحظة ان بريطانيا سترفض هذه « الهدية التى هبطت من السماء » .. وقلت للدوق بصيغة الحزم والحسم :

ـ لن اتفاوض مع احد منكم بعد اليوم الا اذا اجيبت طلباتى كلها وفورا .. وبلا التماس !

وبسرعة فهمت أن كتابة هذا الالتماس جنون .. ان التماسا بهذا المعنى بخط يدى يمكن أن تستغله الدعاية البريطانية ضد بلدى وزعيمى ..

◆ ◆ ◆

وكانت الساعة قد بلغت الرابعة من صباح يوم الاثنين ١٢ مايو ١٩٤١ .. حين انصرفوا من عندى .. وسافروا فورا بالطائرة عائدين الى لندن .

ولم يكن حتى هذه اللحظة قد صدر اى بيان من أى من الطرفين عن موضوع سفرى .

كان هتلر فى مقر الرايخ الالمانى ببرلين ينتظر بيانا من لندن يقول ان هناك طيارا المانيا اسمه « هوفمان هورن » قد هوى بالبراشوت بعد أن ضل الطريق ونفد منه الوقود .

وفى هذه الحالة سيعلم اننى لم استطع بعد الاتصال بكبار المسئولين البريطانيين .

وكان ينتظر بيانا آخر يمهد لتغيير وزارى فى بريطانيا ؛ لاعتلال صحة ونستون تشرشل رئيس الوزراء .

وفى هذه الحالة سيعلم اننى كشفت عن شخصيتى بعد أن قابلت كبار المسئولين البريطانيين ، وشرحت مهمتى بالتفصيل .. وبريطانيا استجابت فورا .. وانها ستقدم تشرشل كبش الفداء فى عيد الصلح !!

ولكن شيئا ما لم يصدر من الجانب البريطانى .. وتوجس هتلر خيفة من هذا الصمت المطبق .. فقد كان يخشى أن يفاجا بسلاح دعاية رهيب يهزه هزا عنيفا : « هيس وزير الرايخ الالمانى طار الى انجلترا ليعرض عليها الصلح .. وانجلترا ترفض وتصر على الحرب » .. أو .. « وزير الرايخ الالمانى يعرض على بريطانيا أن تترك لها المانيا كل مستعمراتها فيما وراء البحار مقابل أن تترك بريطانيا كل أوروبا تحت السيطرة الالمانية . ولكن بريطانيا التى دخلت الحرب مرغمة من اجل كذا وكذا ترفض هذا بشدة »

وكان هتلر يخشى أن يصدر أى بيان غير حكيم من جانب بريطانيا .. أو يحصل اى ضغط مادى أو ادبى على شخصى فافضى باسرار عملية « باربروسا » لغزو روسيا .. ومعنى ذلك فشل العملية قبل البدء فيها هكذا كان تفكير هتلر والرايخ كله فى هذه اللحظات ..

لقد مضت مائة ساعة الآن .. وانجلترا صامتة صمت القبور . اجتماعات الرايخ الالمانى مستمرة .. ولكن جورنج بدأ يقود حملة

تشكيك ضدى فى آخر اجتماع .. وطلب التحرك بسرعة قبل أن يتحرك العدو .. ان انقضاء مائة ساعة دون ان يصدر اى بيان معناه اننى قابلت المسئولين البريطانيين الكبار قطعا .. واحتمال الرفض البريطانى للعرض الالمانى اصبح كبيرا .. لأننا كلنا كنا متصورين أن حركة ترحيب ستحدث فورا .. ولكن ما حدث الآن أن الترحيب السريع لم يحدث .. أذن احتمال الرفض تضخم . اذن لابد من أن يستعد الرايخ فورا ..

وهنا امر هتلر الجنرال « بورنتشاتز » بأن يمسك قلما ليكتب ما سيمليه عليه . واخذ هتلر يفكر فى صيغة البيان الواجب اعداده لكى يكون جاهزا للاصدار فى اى لحظة .

وكان هتلر عصبيا للغاية .. كان يدخل تعديلات وراء تعديلات على كل ما يمليه .. ثم يقول للجنرال « بورنتشاتز » .

ـ اقرأ البيان من الأول ..

فيقرؤه الجنرال .. فيقول له هتلر :

ـ لا .. لا .. مزق هذا البيان . سأملى عليك بيانا آخر

وقد بلغ عدد البيانات التى املاها هتلر ومزقها سبعة بيانات .. الى ان استقر الراى على البيان الثامن .

وهنا استدعى هتلر مستشاره الصحفى الدكتور (اتوديتريتش) .. واعطاه البيان ، وطلب منه اذاعته بمجرد أن يصدر له تعليمات بذلك .. وفض هتلر اجتماع الرايخ الذى ظل فى حالة انعقاد دائم لمدة أربعة أيام ونصف يوم .

ثم قال هتلر لمستشاره الصحفى :

ـ ان التعليمات الخاصة بترقب اى اذاعة تصدر عن بريطانيا تتصل بطيار اسير .. او تتصل باسم هيس من قريب او من بعيد ، يجب ان تستمر ، وبمجرد اذاعة اى شىء اتصل بى فورا فى اى مكان اكون فيه .. حتى لو كنت نائما !!



الكسندر كادوجان .. كان معنا أثناء عقد معاهدة ميـــونيخ مع تشمبرلين .. ويعرفني شخصيا .. وأخيرا وجدت أناسا على مستوى المسئولية ..

الفصـــل الســادس

هتلر ينسف مهمتى

لم ينم هتلر طول ليلة الاربعاء ١٤ مايو ١٩٤١ .. وفى فجـر يوم الخميس ١٥ مايو كانت اعصاب هتلر قد وصـلت الى ذروة توترها .. فأمر مستشاره الصحفى باذاعة البيان ، وتوزيعـه على وكالات الأنباء .. وقد اتخذ هتلر قرار اذاعة البيان منفردا .. مثل كثير من القرارات الهامة جدا التى كان يتخذها وحده ، ويأمر بتنفيذها دون الرجوع الى الرايخ .. أو الى أى وزير من الوزراء .. لذلك اتصل به جورنج تليفونيا .. عند سماع البيان .. وسأله بلهفة :

ـ هل حدث جديد فى الموضوع ؟

ـ ابدا !!

هكذا قال هتلر بعد أن هدأت اعصابه قليلا عقب اذاعة البيان

ـ لماذا اذن هذا التعجل ؟ (هكذا سأل جورنج)

ـ ان بريطانيا التى تتردد فى قبول هذه « الهدية التى هبطت عليها من السماء » لا تستحق أن نعطيها فرصة اكثر من هذا

وكان تعبير « الهدية التى هبطت من السماء » من أقـــوال هوشوفير المأثورة التى وصف بها الرحلة المشئومة التى قمت بها ودفعت حياتى كلها ثمنا لها !!

وصمت جورنج .. ولم يكن فى استطاعته الا أن يصمت !!!

وقد جاء بيان الرايخ يقول :

« ويعلن الحزب الاشتراكى الوطنى رسميا .. ان عضو الحزب رودلف هيس ، الذى كان يعانى فى الفترة الاخيرة من اشتداد علة قديمة لازمته منذ سنوات ، والذى كان لهذا السبب ممنوعا منعا باتا من القيام بأى عمل يتصل بالطيران .. قد تمكن من الحصول على طائرة ..

وفى يوم السبت العاشر من مايو .. انطلق هيس بالطائرة فى رحلة لم يعد منها للآن ..

وقد ترك هيس وراءه رسالة يدل تخبطها على خبل عقلى يخشى منه أن يكون قد وقع فريسة « للهلوسة » .

وقد اصدر الفوهرر من فوره امرا باعتقال مساعد عضو الحزب هيس ، لأنه الوحيد الذى كان يعلم بامر هذه الرحلة ، ولم يحاول — على عكس أوامر الفوهرر التى يعلمها جيدا — أن يمنعها او يبلغ عنها ..

وبناء على ذلك فانه يعتقد ان يكون هيس قد وقعت له حادثة ما .. ! »



وفى هذه اللحظة التى كان الراديو الالمانى يذيع فيها هذا البيان ، ووكالات الانباء تنشره فى جميع انحاء العالم .. فى هذه اللحظة كان ايفون كيركباتريك يفتح باب حجرتى ليقابلنى للمرة الثانية ..

كانت المرة الأولى فى مساء الأحد ١١ مايو .. واستمرت الجلسة حتى الساعة الرابعة من صباح الاثنين ١٢ مايو .. وقد مضت على أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء كاثقل ما تكون الايام وأطولها .. كان يبدو الليل بلا نهار .. وكان يبدو النهار سرمديا

بلا ليل !! .. كنت مع كل دقة على الباب اتصور حرس شرف سيصحبنى الى منزل انيق فى لندن .. لاستعد لحضور اجتماع لمجلس الوزراء البريطانى .. أو للقاء مع الملك جورج .. وكنت قد اعددت نفسى تماما لأى من اللقاءين حتى التفاصيل الدقيقة الخاصة بالبروتوكول .. بوصفى رجلا يمثل دولة منتصرة !!

لم اعد أطيق بيجاما الجيش البريطانى الرمادية التى ارتديها .. كدت أشقها بالطول من سأم الانتظار ... لو كان للانتظار ما يبرره لكنت أصبر .. ولكن فيم الانتظار الآن ؟ .. ثم أن الرايخ الالمانى يعيش على اعصابه .. ثم أن كل دقيقة تمر معناها مئات القتلى والجرحى ومئات من الخرائب .

وكنت داخل القلعة معزولا عن العالم كله .. لا أعلم شيئا عن بيان هتلر ، ولا عن اخبار الحرب عموما .. وكان هذا وحده كفيلا بأن يمزقنى نفسيا ..

◆ ◆ ◆

وحينما دخل ايفون كيركباتريك على فى الحجرة دون أن يكون بصحبة أحد من كبار الساسة البريطانيين .. تشككت فى الأمر .. وقد بادرنى ايفون بقوله :

ـ لى بعض اسئلة لتكملة حوارنا السياسى الممتع !!

وكان ايفون يمسك بورقة فى يده .. وكان يتحدث بالألمانية .. ولكنى قلت له بحسم :

ـ لن اتخذ اى خطوة نحو مناقشة « اتفاقية الصلح » المقترحة الا بعد ان تجاب كل طلباتى فورا .

ولم اكن اعلم ـ كما قلت ـ حتى هذه اللحظة ببيان هتلر الغريب الذى نسف مهمتى نسفا .. لقد تعجل هتلر كثيرا فى اذاعة هذا البيان .. ولو تريث اياما أخرى لتغير وجه التاريخ ..

وكان هذا البيان هو سر الابتسامة التى لم تفارق شفتى ايفـون وقد عاد يسألنى عن « شروط السلام » .. فقلت له بلهجـة حاسمة :

ـ ايفون .. الآن كل ما استطيع ان اقوله لك هو اننى احتج رسميا على طريقة معاملتى هذه .. بل اننى أعتبر نفسى مع الأسف الشديد اسيرا لديكم !!! .. لذلك أرجو اتخاذ الوسائل الكفيلة بسفرى فورا الى المانيا .. ولا أريد ان اتحدث عن السلام معكم بعـد اليوم ..

ولم تفارق الابتسامة شفتى ايفون وهو يسألنى :

ـ وكيف تتصور موضوع العودة .. وانت لم تعلم بعد رأى بريطانيا فى « مؤتمر الصلح » المقرر عقده فى برشاونة ؟

ـ لا يهمنى رأى بريطانيا .. اذا كانت بريطانيا لا تحترم حرية المفاوضين .. ولا تعاملهم المعاملة اللائقة .

ـ هل أنت مصر على العودة الى المانيا الآن ؟

ـ نعم وبكل تأكيد .. ولن استمر فى مهمتى اذا لم يقـدم لى الجانب البريطانى الاعتذار الكافى عن معاملتى هذه .. ويقوم فورا باتخاذ ما ينبغى نحو ضيف كبير يمثل دولة عظمى .. هل تنكر بريطانيا وجميع الساسة بها اننى الرجل رقم ٣ فى العـالم كله ؟؟ .. فكيف تجرؤ بريطانيا على معاملتى هكذا ؟؟

وبعد فترة صمت .. قال ايفون :

ـ هل تعتقد أنه من الممكن ، فى تصورك وتقديرك أن تنقلك طائرة بريطانية الى برلين الآن ؟

ـ أنا مستعد اذا اقتضى الأمر أن أقفز بالبراشوت حينمـا تصل الطائرة الى أى أرض المانية .. أو تابعة لقواتنا ..

ثم سألنى ايفون :

ــ وماذا تعتقد ان يكون موقفك من الرايخ الالمانى وقد فشلت مهمتك ؟؟؟

فقلت له باحتدام « ونرفزة » : بل كدت أقلب المنضدة التى امامى فوق راسه .. وأنا أقول له :

ــ وما شانك انت بهذا ؟

ثم قلت له ما كنت اكتمه فى صدرى منذ ليلة الحوار السابقة :

ــ ايفون .. انك كثيرا ما تنسى نفسك وأنت تتحدث مع وزير الرايخ الألمانى .. الرجل رقم ٣ فى العالم كله .. ليس هكذا يكون الحديث معى .. وانت خير من يعلم ذلك !

وهنا قال لى ايفون :

ــ يظهر انك لم تعلم بعد البيان الذى أصدره الحزب الاشتراكى الوطنى الالمانى ، ورايه فى عضو الحزب رودلف هيس ، وكيف انه يعانى من اشتداد علة قديمة لازمته منذ سنوات ، وكانت السبب فى منعه من الطيران منعا باتا .. وأن عضو الحزب تحت تأثير هذه العلة طار فى رحلة غامضة مساء السبت العاشر من مايو .. وقد ترك خلفه رسالة تدل فى تخبطهـا على انه وقع فريسة « للهلوسة » .. و .. و

فقاطعته وأنا شبه مذهول !

ــ ما هذا الذى تقوله أيها الملحق السياسى .. ؟؟

فقال لى :

ــ لقد اذيع هذا البيان منذ لحظات !

وأعطانى ايفون نسخة من البيان باللغة الالمانية .. وانصرفت ..

وصعقت عندما قرأت البيان .. وتصورت تماما كل ما حدث كما رويته لك من قبل .. الرايخ الألمانى بعد أن ظل منعقدا

لمدة اربعة ايام ونصف يوم ينتظر بياناً من بريطانيا يدل علـى ترحيبها « بالهدية التى هبطت عليها من السماء » .. قرر نسف المحاولة قبل أن يستغلها العدو كسلاح ضده فى الدعاية !

◆ ◆ ◆

وهنا ايقنت على الفور أن مهمتى فشلت تماما .. واصبح واجبا على الآن أن احمى بلادى ، واحمى زعيمى هتلر من الدعاية البريطانية المضادة .

ثم تأكدت من شىء آخر هام .. ان البريطانيين سيحاولـون الاستفادة منى كمصدر لادق المعلومات عن اهداف هتلر العسكرية .. وخططه فى المستقبل .. وتوقعت ما هو اخطر من هذا كله . توقعت تعذيبا بدنيـا ونفسـيا من اجل الحصـول على هذه المعلومات .

لذلك عندما زارنى ايفون كيركباتريك فى صباح اليوم التالى ـ لم تكن زيارته مفاجئة لى .. وعلى الرغم من انها كانت الزيارة الثالثة .. فقد كنت اعلم انهم سيحاولون استدراجى فى الحديث اولا .. فاذا لم تفلح هذه الوسيلة .. كانت هناك وسائل اخرى مملوءة بالاشواك !!

ولم يكن الرسول البريطانى ذكيا عندما قال :

ـ هر رودلف .. ما رايك فى حوار سياسى قد نصل منه الى نقاط محددة تكون أساسا للقاء لك مع المسئولين الكبار ؟!

وعلى الرغم من علمى التام بان هذا مجرد « فخ » نصبه لى لمعرفة ما يمكن معرفته من خطط النازى المستقبلة الا اننى لـم امانع .. وذلك لثقتى التامة فى نفسى وقدرتى على المناقشـة ، من ناحية ولاتجنب اى ضغط بدنى أو نفسى قد يصل الى حـد التعذيب الرهيب !!

لذلك قلت له :

ـ وما المانع ؟

ولم يكن ايفون لبقا منذ اول سؤال .. حينما قال :

ـ هل هتلر يعتبر روسيا جزءا من اوروبا ام من آسيا ؟

فقلت له : آسيا طبعا !!

ـ ولكننا سمعنا عن عقبات فى تنفيذ الاتفاقية التجـــارية المعقودة بين المانيا وروسيا ؟؟

فاجبته فى حسم :

ـ ان هتلر رجل شريف وسوف يظل ملتزما بكل اتفاق عقده

ـ ولكن ما تفسيرك للمطالب العديدة التى قدمتموها لروسيا وطلبتم الاجابة عليها فورا .. وكانت تعبيرات هتلر تحتوى على قدر كبير من التهديد ؟

ـ هذا لا يعنى نقض اى اتفاق سابق؟

ـ ولكن الاتفاق بين المانيا وروسيا اتفاق تجارى لا يمنع من الخلاف على نقاط اخرى قد تؤدى الى نشوب حرب بين البلدين .

فقلت له فى وضوح وحسم :

ـ لا اعتقد ان فى نية الفوهرر الآن مهاجمة روسيا !!

ـ ولكن هناك اشاعة قوية تؤكد ان الرايخ يضع خطة كاملة لغزو روسيا وتطويقها !! ؟

فقلت له : لا علم لى باى خطة من هذا القبيل .

ـ هر رودلف .. هل تستطيع ان تؤكد لى انه ليس فى نيـة الفوهرر الآن غزو روسيا ؟

ـ استطيع ان أؤكد لك هذا !

وهنا هم ايفون كيركباتريك بالانصراف .. وهو يبتسم بشكل خبث ودهاء .. ولكنى استوقفته لأقول له :

ـ هل بريطانيا مهتمة الى هذا الحد بسلامة روسيا ؟

فقال لى ايفون :

ـ ان بريطانيا مهتمة بسلامتها أولا وأخيرا !

ـ اذن لماذا كل هذه الاسئلة المتلاحقة عما سميتموه بخطة غزو روسيا ؟

ـ هر رودلف .. هل نسيت أن الرجل الذى يغزو روسيا هو الرجل نفسه الذى يحاربنا الآن .. وأن فتح جبهة ثانية امر يهمنا فى المقام الأول .

وكانت هذه الكلمات مثل السكاكين تقطع احشائى ..

وهنا انتهت المقابلة رقم « ٣ » مع ايفون كيركباتريك ..

◆ ◆ ◆

وفى الصباح الباكر جدا .. فوجئت بايفون يحضر مع صينية طعام الأفطار .. !! .. فقابلته ببرود شديد . هل هكذا تكون الاقدار ؟؟ .. هل هكذا اقع أسيرا فى يد العدو ؟؟ ... اقع أسيرا بمحض اختيارى ؟ .. هل جزاء عرض صلح مشرف على دولة منهارة هو الاهانة والأسر ؟ .. ألم يكن الأجدر بى أن ادخل لندن غازيا على رأس الجيوش الالمانية المنتصرة ؟!! .. بدلا من وقوعى صيدا سهلا فى أيديهم يقفون منى على كل المعلومات ؟؟!! والا فلماذا جاء ايفون للمرة الرابعة !!

وأذكر أن أهم ما سألنى عنه ايفون فى هذه المقابلة هو .

ـ هل لدى الرايخ الالمانى أى تحفظات قبل المستعمرات البريطانية فيما وراء البحار ؟

ـ لا ..

ـ ولكن الجيوش الالمانية بقيادة روميل تزحف الآن نحـــو الاسكندرية ؟

ـ ان كل ما نحن ملتزمون به فى الشرق الأوسط هو تاييـد رشيد عالى الكيلانى فى العراق والعمل على الوساطة لدى بريطانيا فى جلاء قواتها عن العراق ، واعطاء العراق استقلاله الـــكامل وسيادته على أراضيه .

ـ وهل هذه هى وجهة نظر هتلر شخصيا ؟

ـ ان هتلر شخصيا والرايخ كله يؤيد رشيد عالى الكيـلانى زعيم العراق تأييدا مطلقا .. وهتلر مصر على ((التفاوض)) مع الحكومة البريطانية من اجل استقلال العراق وتثبيت زعـامة رشيد عالى الكيلانى فى الشرق الاوسط .

ثم انتقل ايفون الى نقطة اخرى .. فقال :

ـ وهل تعتقدون أن هتلر مستعد لوقف نشاط الغواصات الالمانية والمدافع البعيدة المدى لرفع الحصار الاقتصادى والعسكرى المفروض على الجزيرة البريطانية ؟

ـ اعتقد أنه لو حسنت النيات .. وبدانا جديا فى التحضير لمؤتمر الصلح المفروض عقده فى برشلونه .. ستسير الأمور عـلى خير ما يرام بالنسبة لكل الأطراف .

ـ ولكن هل هذا ممكن بعد البيان الذى اذاعه هتلر ؟؟

فقلت فى تفاؤل شديد ..

ـ كل شىء لا يزال ممكنا . .لو اعلن تشرشل تنـازله عن الحكم .. وبدات الوزارة البريطانية الجديدة التفاوض معى !!

ـ بعد ان انهمك هتلر بالهلوسة واختلال العقل .. هل يمكن ان يقبل تشرشل فكرة انك تتفاوض باسم هتلر ؟

فسالت انا ايفون بدورى :

ـ هل تشرشل يطلع على مناقشاتنا السياسية ؟

ـ بكل تاكيد

ـ اذن .. ما راى تشرشل فى مدى صدق بيان هتلر الاخير ؟

فقال لى ايفون ـ وهذا كلام اقوله للتاريخ ـ قال :

ـ ان تشرشل يؤكد ان البيان الالمانى الاخير غير صحيح جملة وتفصيلا .. فاولا البيان لم يصدر الا بعد خمسة ايام من وصولك الى بريطانيا .. ثم انه يتهمك بالهلوسة والجنون واختلال العقل منذ زمن بعيد فكيف يتفق هذا مع احتلالك لأهم مناصب الدولة .. ثم ان مناقشاتك يقول عنها تشرشل انها تدل على انك بعيد كل البعد عما يصفونك به من جنون .

وهنا سالته عن حجم المساعدات التى تتلقاها بريطانيا من امريكا فقال :

ـ مجرد مساعدة الصديق للصديق !

وانصرف ايفون عقب هذه العبارة مباشرة .. لقد ادرك ان هناك سلسلة اخرى من الاسئلة فى رأسى .. فخرج بسرعة .. ومن يومها لم اره حتى يومنا هذا .

◆ ◆ ◆

ولكن من المؤكد ان ايفون كان يخرج من عندى ليذهب مباشرة الى حيث يقابل ونستون تشرشل ، ويفضى له بكل ما دار بيننا بالتفصيل .. لان تشرشل اصدر بعد هذه المقابلة مباشرة عدة قرارات خاصة بى .. وهى :

١ ـ يعامل « هر » رودلف هيس ـ وقد استعمل تشرشل شخصيا كلمة « هر » دائما فى كل الاوامر الخاصة بى ـ يعامل معاملة اسير حرب من الدرجة الاولى تحت اشراف وزير الحربية

شخصيا .. فمن المحتمل ان يكون مع بقية زعماء النازى من مجرمى الحرب .. ولكن توبته ستنفعه مستقبلا !

٢ ـ يجب أن يعامل هر رودلف هيس باحترام كأى جنرال كبير يقع فى الأسر .

٣ ـ يجب المحافظة على صحة هر رودلف هيس والسهر على راحته وأن توفر له الكتب التى يطلبها ووسائل الكتابة لعله يكتب شيئا يفيد الامبراطورية فى حربها ضد المانيا .. ويجب أن يكون على صلة بالعالم الخارجى فيرخص له بقراءة الصحف وسماع الراديو .. فان ذلك قد يفيدنا مستقبلا عندما يبدأ الخط البيانى لانتصارات هتلر فى النزول .

٤ ـ يجب أن يعزل هر رودلف هيس عزلا تاما فى مكان مناسب غير بعيد عن لندن .. ويجب بذل كل ما يمكن من جهد من اجل دراسة حالته العقلية .. دراسة وافية ..

◆ ◆ ◆

وفى مساء يوم الجمعة ١٦ مايو تقرر نقلى الى برج لندن الشهير لاعتقالى فيه .. وكان النبأ قد نشر فى الصحف ، وتمت اذاعته فى نشرات الأخبار ، فتجمع فى محطة « ايوستون » حشد ضخم ، وأخذ الناس يزأرون ويهزون بقبضات أيديهم فى وجهى ، فقابلت كل ذلك بابتسامة ساخرة .. ولما تمادت الجموع فى قلة الحياء ، وبدأوا يشتموننى بالالمانية .. رفعت ذراعى بالتحية النازية المعروفة امعانا فى الكيد لهم ..

ومن محطة « ايوستون » نقلونى الى برج لندن فى عربة اسعاف مغلقة !!

وفى يوم الاحد ١٨ مايو .. أسند وزير الحربية البريطانى الى الليفتنانت كولونيل مالكولم سكوت مهمة اعداد معسكر خاص

لاعتقالى فيه .. وقد تم بناء سجن صغير داخل حديقة واسعة .. وحول الحديقة تم بناء خنادق مزودة بمدافع رشاشة واسلاك شائكة .. وتحت الحديقة كان هناك اكثر من نفق يوصل بين البوابة الرئيسية وبدروم السجن .. وقد تم تثبيت الميكرفونات فى الانفاق وداخل المداخل وذلك لرصد حركاتى وكلامى .. وذلك لتسهيل مهمة الحراس فى مراقبتى ، ومهمة المخابرات فى التجسس على ..

وقد تم بناء كل هذا فى ثلاثة ايام فقط لا غير !!

وفى يوم ٢١ مايو .. فى جنح الليل .. داخل سيارة شرطة مقفلة تم نقلى من برج لندن الى هذا المعسكر القائم بالقرب من لندن فى بلدة اسمها « فارنبروه » ..



وهنا قرر هتلر خطفى .. بعملية جريئة ..



كان تشرشل يعتقد ان بيان هتلر عنى محض كذب وافتراء .. وكان يقول : لو كان هيس مجنونا فعلا منذ مدة طويلة فلماذا ابقاه هتلر فى اعلى منصب فى الدولة طوال هذه السنين ..؟

هتلر يحاول خطفى

لقد كان هتلر متمزقا تمزقا داخليا شديدا .. مع انه كان فى أوج عظمته .. ان جيوشه المنتصرة تطل على الاطلنطى غربا وتمتد الى ما وراء وارسو شرقا .. ومن اقصى شمال النرويج الى صحراء مصر جنوبا .. ومع ذلك فهو يعانى أزمة نفسية شديدة .. لا لفشل خطته فى الصلح مع بريطانيا فحسب ، بل لاننى وقعت أسيرا فى يد عدو لا يرحم !

لقد كان هتلر يحبنى حبا جما .. وكان حزينا على المصير ، الذى انتهيت اليه حزنا شديدا ..

هذه حقيقة أقولها للتاريخ .. ولا تهمك المظاهر !

◆ ◆ ◆

فمن هذه المظاهر مثلا أن هتلر عقد اجتماعا مع قادة الجيش ، وقال لهم بالحرف الواحد :

« لقد كانت رحلة هيس مفاجأة لى !! .. حقيقة اننى كنت أعلم أن هيس يعانى من صراع داخلى ناجم عن أن شعبين من أصل واحد يدمر أحدهما الآخر .. كما انه كان مأخوذا ببعض الغيبيات والتنبؤات .. وكان مشغوفا بالطيران الخطر ، الى حد أننى أصدرت أوامرى بمنعه من الطيران منعاباتا .. الى آخر ما قاله »

وقد استمع « الجنرالات » الى هتلر فى صمت مطبق كالعادة ، دون أن يجرؤ أحدهم على توجيه السؤال المعقول ، وهو اذا كان

هيس فعلا مختل العقل — كما تقـــول — فلماذا ابقيت عليه فى منصب نائب الزعيم ؟؟!

كان هذا من المظاهر العامة امام الناس فقط .. أما الوجه الحقيقى لهتلر ، فقد كان واضحا فى اجتماعه مع قائد الطيـران انه امره بوضع خطة ممكنة لخطفى من المعتقل فى بريطانيا .

وكانت المخابرات الالمانية قد اعتقدت اننى فى معتقل « لوتون هو » فى بلدة « بدفورد شير » وهو مركز الاستجوابات التـابع لسلاح الطيران الملكى البريطانى ، حيث كان يتم نقل الأسرى من الطيارين الالمان الى هناك لاستجوابهم .

لذلك تقرر القيام بغارة جوية كثيفة جدا .. يتم بعدها اسقاط ٣٠ جنديا محاربا مزودين بالاسلحة السريعة ، لخطفى من السجن ، ثم الهروب فى طائرة معدة لذلك بالقرب من المعتقل ..

ووقعت الغارة ، طبقا للخطة المرسومة .. ولكن الجنـود لم يجدونى هناك .. فقد كنت فى معتقل آخر خاص — كما سبق أن قلت — وهو معتقل « فارنبروه » .. لذلك عاد الكوماندوز الالمان ومعهم بعض الأسرى من الطيارين الألمان فقط .. لأبقى أنا فى السجن حتى هذه اللحظة !!

وكان لهذا الحادث أثره على مستقبلى فى بريطانيا — كما سيتضح فيما بعد — ولكن على اى حال لقد أكد الحادث فراسة تشرشل حينما قال لايفون كيركباتريك اننى سافرت بناء على تعليمات هتلر وتوجيهه ، ولكن هتلر تعجل الأمر ، فاصدر بيانه ساحبا التوكيل الذى أعطاه لى ..



ومن بين هذه المظاهر ايضا .. ذلك البيان الذى أصـدره الرايخ ، ونشره على العالم كله بعد اسبوع واحد من سفرى ..

اى بعد يومين من البيان الاول الذى نسف مهمتى .. وقد جاء فى البيان الثانى ما يلى :

« بقدر ما نستطيع أن نستنتج من الأوراق التى تركها خلفه عضو الحزب هيس ، يبدو أنه كان يعانى فى الفترة الأخيرة من نوع من « الهلوسة » دعاه الى أن يتصور أنه يستطيع أن يحقق السلام بين انجلترا والمانيا .. بوصفهما من جنس آرى واحد .. وانه لصحيح طبقا لآخر انباء وردت الينا ان هيس قد قفز بالبراشوت من طائرته فى اسكتلندا ، وعثر عليه أحد المزارعين مصابا .. ولكننا لم نتأكد بعد من أى شيء جرى له هناك .. غير ان هذا لن يؤثر بأى حال من الاحوال على استمرار الحرب التى فرضت فرضا على المانيا !!! .. وقد اصدر الفوهرر أوامره باعتقال كل من اشترك فى هذه المهزلة وهم : الدكتور كارل البرشت هوشوفير رئيس معهد العلوم السياسية والالمانية ، وفيلى مسر شميدت صاحب مصانع الطائرات المعروفة باسمه ، والزى هيس زوجته ، وكارل هينز بينتش مساعد هيس ، وآخرون من رجاله » .

وقامت مظاهرة شعبية ضخمة لأزالة اسمى من الشـــوارع والمؤسسات التى كان الرايخ قد اطلق اسمى عليها .. كما مزقوا صورى فى الميادين العامة .

وكان لابد من (كبش فداء) يذبح أمام الناس .. فعثروا عليه فى شخص مساعدى (كارل هينز بينتش) الذى حوكم أمام محكمة عسكرية عليا .. ومعه سائقى الخاص ، ورجل البوليس المرافق لى .. وقد قررت المحكمة ادانة الثلاثة ، ثم حكمت على مساعدى بالاعدام وحبس الاثنين الآخرين ..

ولكن الأحكام لم تنفذ .. بأمر من الفوهرر شخصيا .. وهذا سر جديد آخر ..

كذلك لم ينفذ البوليس الالمانى الأوامر الخاصة باعتقال هوشوفير او مسز شميدت أو زوجتى الزى .. وذلك أيضا بناء على اوامر الفوهرر نفسه أيضا .

◆ ◆ ◆

وهذا يدل على الوجه الآخر الحقيقى لهتلر ..

بل اكثر من هذا كله .. اليك هذه القصة :

« كانت هناك أميرة رومانية اسمها بروكمان .. كانت تتمتع بذكاء حاد ودهاء شديد ، وكانت صديقة لهتلر منذ كان شابا مفلسا لا يملك شروى نقير .. وكان هتلر يكن لها حبا حقيقيا ممزوجا باحترام من نوع ما .. بل ان بروكمان كانت واحدة من القليلين جدا الذين كانوا يستطيعون ممارسة نفوذهم على هتلر بعد أن وصل الى قمة الشهرة والمجد والسلطان .. وعندما مات زوجها الأمير الرومانى « هوجو بروكمان » فى آخر عام ١٩٤١ حرص هتلر ، مع كثرة مشاغله ، على أن يسافر الى بوخارست ليقدم لها العزاء بنفسه .. وكان مما قاله لها بالحرف الواحد :

ـ لا تحزنى يا سيدتى كثيرا .. لقد حرمتنى الاقدار انا أيضا من الشخصين الوحيدين من بين كل من يحيطون بى اللذين كنت اكن لهما حبا خالصا حقيقيا .. فالدكتور تودت مات .. وهيس طار بعيدا عنى !! » .

فقالت له مسز بروكمان متعجبة .. رغم شدة حزنها على زوجها :

ـ ما هذا الذى تقوله لى الآن يا ادولف ؟

فاجابها هتلر فى حزن شديد :

ـ هل صدقت ما تقوله صحافتي ؟ .. ان الحقيقة غير هذا بالمرة !!

ثم روى لهـا هتلر القصـة كاملـة .. فقالت له بدهشـة واستغراب بعد أن عرفت الحقيقة لأول مرة .

ـ أوه أدولف .. لقد حاول صديقك أن يحقق رغبتك بـكل ما يمكن أن تتصوره من بطولة وانكار للذات .. فكيف يحدث كل هذا له ولتابعيه ؟!

فقال هتلر :

ـ كان لا بد من كبش فداء امام العالم لحفظ هيبة المانيا .. ومع ذلك أنا أمسك بفرامل السيارة المندفعة بقدر الامكان ..

ثم صمت هتلر طويلا ، قبل أن يقول لمسز بركمان :

ـ ان قليلين جدا فى العالم كله الذين يعلمـون الحقيقـة .. فأرجو أن تظل هذه الرواية مثل الاسرار الكثيرة التىكنت أأتمنك عليها أثناء الاعداد لدولتنا الوطنية الاشتراكية ..



هذا عن هتلر .. ولكن ماذا عن زوجتى (الزى) ؟ .. ماذا فعلت فى أثناء غيابى ؟ ..

كانت (الزى) معتادة أن أغيب عنها يومين أو ثلاثة ايام دون اى اتصال .. لذلك لم تقلق فى البداية .. الى أن صدر البيـان المشئوم الذى نسف مهمتى نسفا .. فاتصلت زوجتى تليفونيـا ببرجهوف مقر هتلر ، وطلبت أن تتكلم مع هتلر شـخصيا فرد عليها (البرت بورمان) سـكرتير هتلر الخـاص ، واعتـذر بأن الفوهرر مشغول للغاية ، وأنه ـ اى البرت ـ مكلف باجابة كل

طلباتها .. فانفجرت (الزى) باكية ، وطلبت ضرورة التحدث الى هتلر شخصيا .. ولم يكن هتلر ساذجا لكى يتحدث مع زوجتى فى هذه الظروف .. ثم ان عواطف هتلر دائما تحت قدميه وخاصة لو كان الامر يتعلق بمستقبل البلاد .. وهنا انهارت زوجتى تماما .. !

وكان لا بد للدولة الالمانية أن تسير رسميا فى اجراءاتها ضد خائن مجنون هرب من بلاده ، وارتمى فى أحضان عدو فى أثناء الحرب ، على حين انه كان يحتل منصبا كبيرا ! .. فكان طبيعيا جدا أن يذهب بعض رجال المخابرات الالمانية الى بيتى .. وبلا أى شفقة او رحمة ازاء سيدة قلقة على مصير زوجها طلب منها أحد الرجال أن تدله على ما لها فى المنزل ، لأن كل المنزل بما فيه ملك للدولة ، وقد حذر الرجل زوجتى بجفاء من أن تدعى ملكية شىء لا تملك الدليل عليه ..

وهنا انهارت زوجتى مرة أخرى ، وأجهشت فى البكاء .. فتركها الرجال بعد أن أصدروا أوامرهم لها بمغادرة البيت فورا .. !

وفى صباح اليوم التالى ذهبت زوجتى الى منزل استاذنا هوشوفير .. كانت تتوقع أن تقابل زوجته وابنه الدكتور فقط ، بعد أن علمت من الصحف نبأ اعتقاله .. ولكنها فوجئت به يجلس بهدوء كعادته فى حجرة مكتبه فهتفت غير مصدقة :

ــ أوه .. بروفيسور ! !

فقام الرجل الكبير ، واحتضن زوجتى برقة وحنان ..

وكانت الكلمات تتعلثم فى فمها .. الم تعتقل حقيقة .. ام افرجوا عنك ؟! .. ما هى حقيقة ما يجرى حولنا فى البلاد ؟ .. علامات استفهام وراء علامات استفهام تتراقص على شفتى

زوجتى ، وتتزاحم فى عقلها ، وتشع من عينيها .. ولكن حالتها النفسية تمنعها من مجرد النطق ..

وهدأ الرجل الوقور من روعها واجلسها .. وقال لها باختصار دون أن يكشف أوراق الدولة كلها ، لأن من عادة هوشوفير الا يثق كثيرا فى السيدات .. وقدرتهن على حفظ الأسرار .. قال لها :

ــ ان الدولة لن تنسى ماضى رودلف هيس .. وان كان قد اخطأ .. فليس معنى هذا التنكيل ؟ !

◆ ◆ ◆

وعادت زوجتى مطمئنة الى البيت ، ومعها ابنى الصغير (ولف روديجير) .. ولكنها وجدت مفاجأة فى انتظارها .. رجال المخابرات الالمانية يطلبون منها اخلاء البيت فورا ..

ــ ولكن لى أشياء كثيرة فى هذا المنزل ؟

ــ ما هى ؟ ؟

هكذا رد الرجل بلهجة جافة جدا

ــ الكثير من السجاد والتحف من ملكى الخاص ..

ــ أعلم ذلك .. عليك ان تأخذيها مع ملابسك فى الصباح الباكر وسنعود ظهر غد لنجد البيت خاليا ! .. هل هذا الكلام مفهوم ؟ ..

ثم صمت رجل المخابرات الالمانى .. ثم عاد ليقول لزوجتى فى سخرية وتهكم !

ــ نحن على استعداد ايضا لأن نترك لك حجرة النوم تذكارا لزوجك العزيز ! .. وسيكون الثمن .. مناسبا !

لقد تفنن الرجل فى اهانة زوجتى .. !

وما أن انصرف .. حتىجاء رجل الحرس المنوط به العمل عند البوابة الرئيسية ، ليسلم زوجتى رسالة ، تركتها سيدة تستقل سيارة فاخرة .. كانت الرسالة من (ايفا براون) صديقة هتلر ، وكانت صديقة عزيزة لى ولزوجتى .. وقد جاء فى الرسالة :

(عزيزتى الزى - لم أجد من المناسب أن ازورك الآن لأكثر من سبب ، ولكنى أردت فى نفس الوقت أن أشعرك ، أنك لست وحدك .. انى سأقف الى جانبك فى محنتك الحالية .. لقد أحببتك أنت وزوجك أكثر من اى شخص آخر .. وأرجو أن تتصلى بى فى هذا الرقم السرى لتقولى لى ما تريدين)

فاتصلت زوجتى بايفا براون لتقول لها :

- حبيبتى ايفا .. انا عاجزة عن شكرك .. خطابك أكثر من لطيف .. فى وقت كنت فى اشد الحاجة اليه

- كيف حالك الآن ؟ .. المهم !

هكذا ردت ايفا بنبرة فيها شىء من الحزن ، فروت زوجتى كل شىء .. فقالت لها ايفا :

- لا عليك .. ستصدر الأوامر فورا بألا تغادرى البيت .. وعلى العموم ساراك قريبا ..

وقرر هتلر شخصيا منح زوجتى معاشا ضخماً لم تكن لتحلم به .. وقرر ابقاءها فى منزلى الحكومى الفخم .. مع بقاء الخراسة الخاصة بالبيت .. كما هى .. وقد نقل لى هذه التعليمات أحد رجال حرس « برجهوف » مقر هتلر ..

وكان هذا هو الوجه الثانى الحقيقى لهتلر .. لقد كان يعطف على فى محنتى أشد العطف .. ولكنه يظهر أمام الناس والعالم بوجه آخر تماما .. وكان هذا الوجه الآخر اصطناعيا مزيفا !

وعلى الرغم من المعاش الكبير ، وعلى الرغم من قرار هتلر .. الا أن زوجتى لم تطق أن تقيم فى منزل يذكرها دائما بى .. فأغلقته « بالضبة والمفتاح » وانتقلت لتعيش فى شقة صغيرة كان يقيم فيها سائقى الخاص !

◆ ◆ ◆

وبينما كانت زوجتى تحزم أمتعتها عثرت على الدبابة الصغيرة الخاصة بابنى ، ولما ألقت بها فى الحقيبة سقط منها مفتاح الخزانة ، وعندما فتحت الخزانة وجدت الرسالتين اللتين أشرت اليهما من قبل .. رسالة معنونة باسمها أروى لها تفاصيل القصة .. ورسالة اخرى باسم هتلر « أرجوه » فيها أن يعتبرنى خائنا مجنونا . . اذا فشلت فى مهمتى !

وبكت زوجتى كثيرا عندما قرأت الرسالتين .. لقد بدأ انهيارها بمجرد أن رأت خطى على الورق .. ثم وهى تقرأ ما أقوله لها فى بداية الخطاب :

« حبيبتى زوجتى الزى ..

ولكن ما أن اكملت الرسالتين حتى هوت منتحبة .. وهى تقول :

ـ أين الحقيقة ؟ .. أين الحقيقة ؟ !

وفكرت زوجتى .. ماذا تفعل الآن بعد أن وقع فى يدها أخطر وثيقتين تاريخيتين .. فى العصر الحديث ؟

اتصلت زوجتى فورا بايفا براون صديقة هتلر فى رقمها السرى الخاص لتقول لها :

ـ ايفا .. أكاد أجن

ـ ماذا حدث ؟

ـ لقد عثرت هنا على رسالتين كتبهما رودلف قبيل سفره مباشرة .. الرسالتان تقولان كلاما اكثر من خطير .. رسالة منهما باسم الفوهرر شخصيا .

ـ الزى .. سأحضر لك حالا ..

ووصلت ايفا براون الى بيتى الكبير بعد دقائق ، ولم تكن زوجتى قد غادرته بعد .. وأطلعت ايفا على الرسالتين .. وكانت هى الاخرى لا تعلم شيئا عن حقيقة الموضوع .. صديقة هتلر التى تقاسمه الفراش لا تعلم السبب الحقيقى لسفرى حتى هذه اللحظة .. إلى هذا الحد كان الأمر فى منتهى السرية .

وأبلغت ايفا هتلر بامر الرسالتين .. فأصدر هتلر اوامر صارمة لصديقته ولزوجتى بعدم التحدث مطلقا فى هذا الموضوع مرة اخرى مع اى شخص آخر كائنا من كان .. والا كان جزاؤهما ـ بلا شفقة وبلا تردد ـ الصمت الى الأبد !

وكان هتلر عنيفا فى الحق .. يضحى بابنه لو كان فى مصلحة بلده .. لذلك لم أكن أستبعد أن يقتل هتلر صديقته ايفا لو كان هذا فى مصلحة المانيا .. !

ولكن المهم ان الرسالتين ادتا مفعولهما المطلوب .. فلم تعد زوجتى (الزى) تحس بالمرارة والأسى .. بل على العكس اصبحت فخورة بزوجها واخلاصه لزعيمه .. ولبلاده .

* * *

الفصل الثامن

تشرشل يحاول معرفة أسرار هتلر منى!

واذا كانت رحلتى قد سببت تمزقا داخليا عنيفا فى نفسية هتلر المنتصر ، فانها خلقت ايضا مشكلة سياسية عويصة لتشرشل !

كانت المشكلة تتصل بمعنويات الشعب البريطانى .. فان المفروض فى اى بلد يؤرقه شبح خسران الحرب ان يكون ميالا الى تحبيذ السلام .. وكان تشرشل يخشى جدا من أن يقف الشعب البريطانى على الحقيقة .

وكان تفكيره طوال الايام الاربعة ونصف اليوم قبل اذاعة بيان هتلر محصورا فى نقطتين !

اولا : كان تشرشل لا يثق كثيرا فى مواثيق هتلر ومعاهداته .. وكان يخشى أن يستعين هتلر به لكى يقضى على روسيا .. ولما كانت أطماع هتلر بلا حدود فسيكف فترة عن الحرب ، ويخلد للسلام ، لمجرد الاستعداد ، ثم يعود للطمع فى المستعمرات البريطانية .. ويلتهمها !

ثانيا : كان تشرشل يرى ان عرض السلام من جانب المانيا المنتصرة فى هذا الوقت الحالك السواد أمر لا يمكن رفضه بسهولة .. وخاصة إذا عرف الشعب البريطانى الحقيقة يوما ما !



•• وقد رأى تشرشـل الاستفادة من وجـودى عندهم بقدر الامكان •• فارسل لى واحدامن اهم وزرائه هو سير جـون سيمون وزير الـــدولة لشئون السياسة وحامل اختام الملك ليتناقش معى فى الامور السياسية

◆ ◆ ◆



•• كنت اعرف اللورد الداهية بيفربردك ••• وكنت اعرف انه اقـرب الناس لتشرشل ••لذلك مقابلتى له بعد ان تـم الغزو الالمانى لروسيـا كانت بمثابة اخر خرطوشة فى جعبتى

وللحقيقة والتــاريخ اقول أن تشرشل كان يميل أكثر لرفض الصلح للسـبب الاول ،لذلك جاء بيــان هتلر عن اختــلال قواى العقلية ليقدم أكبر خدمة لتشرشل .. فقد ايد البيان وجهة نظر تشرشل تاييدا مطلقا .. ولم يعد هناك أمام بريطانيــا الا رفض الصلح نهائيا واعتبارى أسير حرب ..

وقد راى تشرشل الاســتفادة من وجودى عنــدهم بقــدر الامكان . فبعد أن أودعنى سجنا خاصا ببلدة « فارنبروه » قريبا من لندن .. أرســل لى واحدا من أهم وزرائه وهو ســير جون سيمون وزير الدولة السياسى وحامل أختام الملك .. ولما كان من غير المستساغ أن يذاع انأحد الوزراء سيزورنى لاجراء محادثات جدية معى ، بعد أن كانت الصــورة العامة امام النــاس هى اننى مجنون .. لذلك أذاعت الصحف البريطانية نبأ يقول :

« قرر تشرشل ايفاد طبيبه الخاص للكشف على الاسير هر رودلف هيس لمعرفة مدى اختلال قواه العقلية » !

وقد راى تشرشل لسبب او لآخر ان يخطرنى فى السجن بأن زائرى ليس طبيبا نفسانيا ـ كما جاء فى الصحف ـ بل هو سير جون سيمون وزير الدولة للشــئون السياســية .. وقد تقرر اعطائى فرصة يومين كاملين قبل ان يلتقى بى لأستعد لهذا اللقاء فكريا ونفسيا ..

◆ ◆ ◆

وقد دام لقائى بسير جون سيمون اربع ساعات كاملة ..

وتركنى اتكلم فى البدأية كما أريد ..

شرحت له بالتفصيل كل دراساتى السابقة عن الجنس الآرى .. وانه خير الاجناس فى العــالم .. وانه يجب أن يســود .. وتكلمت كثيرا عن نظريات استاذنا هوشــوفير .. ولكننى كنته

شديد الحرص للغاية لعدم ذكر اى شيء عن خطة غزو روسيا او عن مقابلاتى بهتلر قبيل السفر ، او عن مجرد علم هتلر وجورنج وروزنبرج بهذه الرحلة ..

لا اذكر بالضبط كل ما دار على مدى اربع ساعات .. ولكنى اذكر اننى بدات التحدث عن مشاعرى الشخصية نحو الحرب عموما .. وكيف اثرت فى نفسيتى تأثيرا عميقا .. « كانت الأمهات اللاتى فقدن أطفالهن والعائلات اللاتى فقدت ابناءها كانوا يلومون الفوهرر .. كيف ولماذا لا نرد الصاع صاعين » .

ثم قلت للوزير البريطانى :

ـ وعندما تاكد الفوهرر ان بريطانيا لا تريد الانصياع لصوت العقل تصرف الفوهرر وفقا للمبدأ الذى وضعه الادميرال فيشرر وهو (ان الاعتدال فى الحرب ضرب من الغفلة) .

ثم وقفت .. ومشيت لآخر الغرفة .. لأقول له :

ـ أؤكد لك أيها الوزير أنه كان من اصعب الامور عى الفوهرر ان يتخذ القرار بشن هذه الغارات ، لقد كان هذا يؤلمه اشد الألم .. وكان يحس بعطف شديد على أولئك الذين يذهبون ضحايا لهذا الأسلوب من أساليب الحرب .

وبدات اتحدث عن السلام والصلح .. وماذا لو استقال تشرشل من أجل انقاذ بريطانيا .

وهنا سألنى الوزير البريطانى :

ـ هل تضمن لو استقال تشرشل أن يوافق هتلر على انهاء الحرب فوراً مع بريطانيا .

ـ قطعا .

ـ هل انت متاكد من هذا ؟

ـ تمام التأكد .
ـ اذن أنت جئت الى هنا بعلم هتلر وبتدبيره ؟
ـ ابدا لم يحدث .. هتلر فوجيء برحلتى ..



وقد عاد جون سيمون ليؤكد لتشرشل أنه بعد هذا اللقاء ايقن اننى ابعد ما أكون عن وصفى بالهلوسة .. واختلال العقل .. !

وهنا اتصل تشرشل تليفونيا بوزير آخر من أهم وزرائه ؛ وهو لورد بيفر بروك .. وبيفر بروك هو احد ملوك الصحافة البريطانية ، يملك عشرات الصحف ، له عقلية جبارة ، لذلك استعان به تشرشل كأحد وزراء الحرب خلال هذه الفترة الحرجة من حياة بريطانيا ..

اتصل تشرشل به ليقول له :

ـ سيدى اللورد .. هل تستطيع الحضور الى مكتبى فورا .. ؟

وجاء اللورد لينضم الى الاجتماع الكبير الذى ضم تشرشل وانتونى ايدن والكسندر كادوجان وايفون كيركباتريك .. حيث روى لهم سير جون سيمون كل ما دار بيننا على مدى اربع ساعات .

◆ ◆ ◆

وفى مساء اليوم نفسه جاءت الانباء تقول ان الجيوش الالمانية اجتاحت الحدود الروسية ، وقد توغلت فى الاراضى الروسية ، متجهة نحو موسكو من عدة جهات .

لقد نفذ هتلر « عملية باربروسا » .. اذن .. !
ترى هل بدأ الانهيار الذى توقعه بروفيسير هوشوفير ؟

نعم .. لقد بدأ الانهيار .. هذا ما أكدته الأيام ..

ولو أنصف التاريخ لصنع تمثالا من الذهب لهذا الرجل العلامة هوشوفير .. حقيقة انه يؤمن بالغيب لدراسته لعلوم الفلك والكف .. ولكنه لم يتنكر يوما لدور العقل والمنطق .. لقد كانت كل نظرياته وتعاليمه صحيحة مائة فى المائة ..

وفى اليوم نفسه قرر تشرشل أن يرسل وفدا سياسيا وعسكريا الى موسكو ، لمناقشة أسلوب التعاون بين بريطانيا وحليفها الجديد روسيا ..

واقترح تشرشل أن يكون الوفد برئاسة بيفر بروك .. وهنا قال لورد بيفر بروك لتشرشل :

ــ سيدى الرئيس .. هل تسمح لى بشىء قبل السفر ؟

ــ ماذا ؟

ــ اريد زيارة هيس الليلة لاستطلع رأيه فى الموقف بعد أن تم الهجوم الألمانى على روسيا .

ــ لك هذا ..

وتحت اسم الدكتور ليفنجستون ، الطبيب النفسانى الشهير .. تمت زيارة اللورد الداهية لى .. وكنت أعرف اللورد شخصيا قبل الحرب .. واحترم عقليته جدا .. وأعلم أنه من أكثر الناس قربا لتشرشل ، وأكثرهم تأثيرا عليه .. لذلك كنت سعيدا جدا بلقائه .. خصوصا بعد التطور الاخير .. وهو دخول الجيوش الالمانية روسيا .. وقد رأيت أن هذه الزيارة هى آخر خرطوشة فى جعبتى .. سوف أطلقها وأرتاح ..

وقد بدأت الحديث معه بصراحة فقلت له :

ــ أنا أعلم أنك أقرب الناس لرئيس الوزراء تشرشل

ـ هل تعتقد ذلك .. ربما !

هكذا رد بيفر بروك فى خبث وتواضع .. فقلت له :

ـ لقد كنت مؤمنا قبل مجيئى الى هنا أن فى انجلترا اناسا عقلاء يدركون ان لا فائدة من استمرار الحرب بين انجلترا والمانيا .. لقد كان هذا هو الاعتقاد السائد عندى قبل مجيئى .. لذلك كان عشمى كبيرا فى نجاح مهمتى ..

ـ وما هى مهمتك على وجه الدقة ؟

هكذا سألنى بيفر بروك .. فقلت له :

ـ عرض الصلح رسميا على بريطانيا .. وانا أتحدى تشرشل أن يعلن على الملأ بصراحة هذا الكلام .

وهنا قال بيفر بروك بالحرف الواحد :

ـ لا يستطيع تشرشل أن يعلن ذلك الآن .. ولكنه سيعلنه فى المستقبل عندما تنتهى الحرب لصالحنا .

ـ ولماذا لا يعلنه الآن .. لأنه يخشى غضبة الشعب البريطانى الذى يريد السلام .. أليس كذلك ؟

ـ بل هو يخشى أن تفتر همة شعب يكافح بشجاعة .

ثم قلت له بكل صراحة ووضوح :

ـ هل تعلم ماذا كان سيحدث لو تم الصلح مع بريطانيا ؟

ـ ماذا ؟

ـ كنا سنتعاون معا للقضاء على روسيا !

ـ هل تعتبر روسيا خطيرة الى هذا الحد ؟

فقلت له حرفيا .. لأن هذا الكلام للتاريخ :

ـ من الغباء الانجليزى أن تعتبر انجلترا أن انتصار روسيا انتصار لها .. أن روسيا لا تحارب الا من اجل مصلحتها ..

فاذا انتصرت فانا على يقين انها ستبسط نفوذها على العالم كله .. ان المستقبل سيكون لهـا فى اوروبا وآسـيا خصوصـا .. وستهبط « بريطانيا العظمى » الى دولة زراعية من الدرجـة الثالثة !

ـ هل انت متاكد مما تقول ؟

ـ انا على يقين من ان بريطانيا تكون فى منتهى الغباء وضيق الأفق لو تصورت أن الالمان والروس سوف يتقاتلون حتى تتلاشى الدولتان ، ويتركا أوروبا للامبراطورية البريطانية .

ـ هل تعتقد أن فرصة الصلح مع هتلر لا تزال قائمة ؟

ـ قطعا ..

ـ هل تضمن لنا ذلك ..

ـ بكل تاكيد ..

◆ ◆ ◆

وهنا تركنى بيفر بروك ، وقبيل رحيله الى موسكو اتصـل بتشرشل وقال له :

ـ ان أسيرنا لديه معلومات على جانب كبير من الخطورة .. لا يكفى معها أن ارسل لك التسجيل فقط ..

وكانت كل حركاتى وكلامى تلتقطه ميكروفانات آلات التسـجيل المثبتة فى أماكن كثيرة من المعتقل .

فقال له تشرشل :

ـ احضر فورا ..

وأجل بيفر بروك سفره الى موسكو سـاعات اجتمع خلالها بتشرشل ، وروى له كل ما دار بيننـا على مدى ثلاث سـاعات وسأله تشرشل فى النهاية :

ـ هل هيس مصاب حقيقة بنوع من الهلوسة ؟

فاجابه بيفر بروك بحسم :

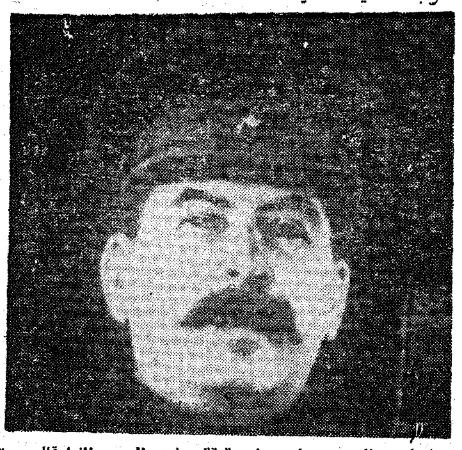
ـ كلا بكل تأكيد .. ان هيس ابعد ما يكون عن هذا الوصف

وعندما سافر بيفر بروك الى موسكو استقبله ستالين .. وكان ستالين دائم السؤال عن رحلتى المفاجئة، فقال له بيفر بروك كل ما دار بيننا من حديث ، ثم لخص له احاديثى السابقة مع غيره من الساسة البريطانيين .

فقال ستالين لبيفر بروك .. قولته الشهيرة :

ـ واخيرا وجدت الدليل المادى على شكوكى .. لقد كنت اشك دائما فى ان الغرب يريد ان يتحد ضدى ..

وكان لهذا الكلام اثره الكبير لما حدث بين الشرق والغرب بعد الحرب العالمية الثانية .



.. وعندما علم ستالين من بيفر بروك حقيقة سفرى الى بريطانيا قال ستالين : «اخيرا وجدت الدليل المادى على شكوكى ، لقد كنت دائما اشك فى أن الغرب يريد أن يتحد ضدى » ..

الفصل التاسع

بدأت نوبات الجنون

أصبحت الأيام رتيبة .. ثقيلة .. مملة ..

حقيقة كنت أقرأ كل يوم كل الصحف الألمانية ، وكل الصحف الانجليزية .. وكنت أحب كثيرا قراءة الصحف الألمانية طبعا .. ولكن عيبها أنها كانت تأتى بعد فترة طويلة قد تصل الى اسبوع !!

لذلك كنت أقرأ يوميا التايمس اللندنية ، حتى أصبحت التايمس مثل فنجان شاى الصباح كل يوم ، لا غنى عنها ، وتحولت قراءتها الى عادة لا أستطيع الاقلاع عنها حتى يومنا هذا .

.. وكنت أسمع الراديو .. وعندى حرية التنقل فى البيت الصغير .. وحديقته الواسعة .

..وكنت استطيع أن أكتب ما اشاء من مذكرات وملاحظات وأقرأ ما أريد من كتب .

.. وكانت كل طلباتى مجابة .. حتى اننى طلبت ذات مرة ملابس مدنية عادية ، فاحضروا لى ملابس فاخرة .. فقلت لقائد السجن :

— ولكنى اريد بدلتى الخاصة التى اخذتموها منى وهى بدلة ضابط طيار المانى .

فقال لى قائد السجن :

ـ ساستأذن أولا فى هذا الأمر ..

وبعد يوم واحد كانت البدلة عندى ، وقد حولتهـــا أصابع مكوجى ماهر الى شىء جديد جميل ..

وذات مرة .. سألت قائد السجن :

ـ وهل أستطيع ان ارسل خطابات لزوجتى ؟

ـ نعم .. بكل تأكيد ..

ويبدو أنه كان لديه تعليمات بذلك من قبــل .. فلم يمهلنى الرجوع أولا للسلطات العليا كما كان يفعل عــادة .. بل أذن لى على الفور بكتابة ما أشــاء من خطابات .. لقــد كان المسئولون البريطانيون يظنون أنى من السذاجة بحيث سأبوح ببعض الأسرار فى هذه الخطابات ، ولــكنى كنت على يقين بأن خطاباتى ستكون موضع دراسة جــادة وعميقة .. وعــلى أعــلى مستوى .. حتى او كانت خطابات غرام !!

كنت باختصار العب مــع المسئولين البريطانيين لعبة القــط والفار ! !

.. وكنت متعودا على تنــاول العــديد من الأدوية الألمانيـــة المنشطة والمهضمة والمنبهة للأعصاب والعقــل .. لذلك كتبت بها كشفا ، واعطيته لقائد السجن وقلت له :

ـ ولكنى غير متوقع أن أجد هذه الأدوية الألمانية عندكم ؟

ـ قطعا سنجدها فى لندن .. وان كنت افضــل أن يزورك طبيبنا الخاص لمعرفة ما اذا كانت هذه الأدوية لا تزال أنت فى حاجة اليها أم لا ؟ ..

◆ ◆ ◆

فرحبت بزيارة الطبيب الدكتور هنــــرى ديكسى لى .. بل توطدت بيننا صداقة من نوع ما ..

ولكن مرور الايام داخل هذا المـــكان المغلق ، بلا أى بريق من امل فى الافراج والعودة ، أثر فى أعصابى تأثيرا سيئا للغاية .. ولذلك فقدت شهيتى تماما للطعام .

◆ ◆ ◆

وفى هذا الوقت السيىء بالذات .. تقرر نقلى الى سجن بعيد عن لندن ، فى جنوب ويلز اسمه « ميندیف كورت » .

... كان هـــذا يوم ٢١ يونيو ١٩٤٢ .. أى بعـــد مرور ١٣ شهرا وعشرة أيام من وصـــولى الى بريطانيا ! ! .. منها تسعــة اشهر لم اقابل فيها مسئولا بريطانيا واحدا .. وكان هذا النقل نقطة تحول خطيرة فى حياتى ..

... ولعلك قرأت او سمعت الكثير عن فقدانى للذاكرة .. او اختلال قواى العقلية .. ولكنى اليوم سأقول للتاريخ الحقيقة كاملة .. سأقول الحقيقة لأول مرة ، وهى الحقيقة التى لا يعلمها أحد حتى الآن ..

أنا فى الحقيقة كنت أعانى شــيئا اهم من فقـــدانى للذاكرة او فقدانى لقواى العقلية .. أنا كنت أعانى « فقدانى لشخصيتى » .. « فقدانى لأهميتى الذاتية » التى كنت أعتز بها ايما اعتزاز ..

أنا لم أسع يوما لجمع ثروة مادية ــ وكنت أستطيع فى لحظة ان اكون مليونيرا .. ولم أســع يوما لاغتنام الملذات والاستمتاع بالحياة ــ وكنت استطيع ان أنال كل ما اريد .

بل لم أسع يوما للسلطان والنفوذ والحكم .. بل جاءنى كل هذا بحكم منصبى فى الحزب الذى ســاد البلاد ، وهو الحـــزب الوطنى الاشتراكى الذى حكم ألمانيا منذ ٣٠ يناير ١٩٣٣ .

كل ما كنت أسعى اليه حقيقــة هو تكوين شخصية سياسية كبيرة لها « خلفية » ضخمة من العلـــم والثقافة اسمها « رودلف هيس » تؤثر فى مجرى الأحداث فى العالم .. وتغير من سياسة

العالم .. ويكون التغيير بناء على دراسة وعلم .. هذه هي حقيقتي ..

◆ ◆ ◆

لذلك عندما دخلت سجن « مينديف كورت » .. وعلمت أنه بعيد جدا عن لندن .. أيقنت أنني فقدت حياتي كلها .. فقدت تاريخي الكبير .. فقدت نفسي .. فقدت رودلف هيس ! ! ..

لذلك ازددت فقدانا للشهية .. وفي لحظة .. قررت الا اتناول طعاما بالمرة ! ! .. فجاءني قائد السجن ليقول لي :

ـ نحن على استعداد لكي نقدم لك الأنواع التي تريدها من الطعام .

ـ لن اتناول أى طعام من عندكم لأن طعامكم مسموم .. قطعا ستتخلصون من حياتي قريبا .. او ستدسون في الطعام عقاقير معينة تجعلني افقد سيطرتي على البقية الباقية من اعصابي وافشي كل اسرار الدولة الألمانية .

لذلك حرص قائد السجن على ان يتناول معي الطعام كل يوم ! ! .. كانت تحضر الصينية ، ويضعها القائد امامي ، ويتركني اختار الكمية التي اريدها ، ليأكل هو الكمية الثانية .. وازدادت شكوكي أكثر بدرجة انني كنت اصر على أن نأكل سويا من طبق واحد !!

◆ ◆ ◆

ثم رأيت تطورا غريبا .. كان الحرس في السجن الجديد يبدو غريبا للغاية في نظري .. حتى خيل الى أن هناك مؤامرة لتدميري عقليا وبدنيا .. لذلك طلبت من قائد السجن تغيير هذا الحرس فورا ..

ـ لماذا ؟ ؟ ! (هكذا سألني قائد السجن باستغراب) .

ـ انهم ادوات غير واعية لمؤامرة سرية يدبرها اليهود ضدي .

وضحك القائد .. وأمر بتغيير الحرس .

◆ ◆ ◆

وفى يوم ١٥ يوليه ١٩٤٣ لم أستطع ان أنام لحظة .. فضغطت على الجرس فى الثانية صباحا ، وهرول الحارس قادما .. فقلت له :

ـ استدع قائد السجن حالا .. أنا أكاد أجن .. ان عينى لم تغف لحظة .

وحاول القائد أن يعطينى حبوبا منومة ، ولكنى كنت على يقين ان شيئا ما قد دس لى فى الطعام لكى تتنبه أعصابى طول الليل ، ثم أطلب حبوبا منومة فى عز الليل ، فيعطوننى حبوبا سامة وأموت .. فرفضت هذه الحبوب .. فقال لى قائد السجن :

ـ ليس هناك أى شىء دس لك فى الطعام .. والدليل أننى تناولت عشائى معك .. واستطعت أن أنام ..

ـ نعم تناولت عشاءك معى ، وتنبهت أعصابك فتناولت حبوبا منومة ونمت .. أما أنا فقد أعدوا لى حبوبا سامة .. أنا لا أكره الموت ولا أهرب منه .. ولكن لا أريد أن يقتلنى عدو .. أنا أقتل نفسى من أجل بلدى ! !

ولا أدرى ماذا حدث فى هذه الليلة بعد ذلك بالضبط .

ـ كل ما أذكره .. اننى فى الساعة الرابعة صباحا .. نهضت من السرير .. ووقفت فى وسط الحجرة وقد تقمصتنى كل شياطين الأرض .. ولبست بدلة ضابط الطيران الألمانى .. وطلبت استدعاء الدكتور هنرى ديكسى فورا ، وحضر صديقى الدكتور ديكسى ، وطلب منى تناول الحبوب المنومة فأيقنت أن المؤامرة محبوكة الأطراف .. والا فلماذا حضر الدكتور بهذه السرعة ، ليطلب قبل أى شىء آخر أن أتناول نفس الحبوب ؟!

وهنا دفعت الدكتور ديكسى بعيداً عن طريقى .. وكان واقفا بينى وبين باب الحجرة ، واندفعت أجرى ، وقد تملكنى شعور غريب باليأس .. وبكل قوة هرولت عبر الدهليز .. ولا ادرى لماذا رأيت فى لحظة أن أقفز من فوق « الدرابزين » ليرتطم جسمى بالارض بقوة .. وهنا شعرت أننى تحطمت فعلا .. ساقى أصبحت فى حاجة الى الجبس .. وضلوعى تكسرت .. وتصاعدت التأوهات رغما عنى .. وظللت مستلقيا على الأرض لا أستطيع الحراك .. حتى وصل الدكتور ديكسى .. فقلت له بصوت خافت :

ـ أعطنى حقنة مورفين من فضلك يا دكتور .

وحملنى الحراس الى فراشى .. وأنا أصرخ وأصرخ من شدة الألم .. وبدأت اجراءات الجبس . ولكنى اكتشفت فجأة انى لا أستطيع أن أتبول .. فصرخت :

ـ النجدة .. النجدة ! !

فلما أرادوا أن يستعملوا معى طريقة « القسترة التقليدية .. صرخت فى وحشية :

ـ ابعدوا عنى ..

فاقترح الطبيب استخدام أنبوب من المطاط ، طلبه بالتليفون من العيادة الخارجية .. ولكنى رفضت أى شىء .. وكل شىء .. وظللت أتمرغ على السرير ثم على الأرض .. وكان الدكتور ديكسى لم ينم فى الليلة السابقة لذلك مر عليه ٣٦ ساعة بلا نوم اطلاقا .. فانحنى على لائما .. كما يفعل الأب مع طفل عنيد .. وقال لى :

ـ الا تخجل من نفسك ؟ .. انك الرجل الثانى فى الرايخ الألمانى .. هل هكذا يصح أن تولول كالأطفال أمام رعايا دولة معادية ؟ ؟ .. هل يصح أن تجعل نفسك موضع سخرية هؤلاء ؟ ؟ ..

وقد كانت هذه الكلمات مثل مبضع الجراح .. كأنه فتح « دملا » كبيرا فى راسى .. فسلمت له أمرى تماما .. وظللت محملقا فى السقف كالابله ..

وقد كتب الدكتور ديكسى تقريرا طبيا رفعه لتشرشل قال فيه :

« ان هيس أصبح شخصا مهزوزا عصبيا سوداويا مصابا بالبارانويا .. وكل هذه مجرد كلمات من الصعب جدا أن أقرر على أساسها على وجه القطع بجنون شخص ما » .

◆ ◆ ◆

وفى ٢ يناير سنة ١٩٤٣ أرسلت خطابا لزوجتى « الزى » اقول لها فيه :

« عزيزتى مامى الصغيرة ...

مرت عدة ساعات وأنا جالس فى مكانى أفكر فيما اكتبه اليك .. ولكنى لم أستطع ان أتقدم خطوة واحدة .. فقد فقدت ذاكرتى تماما الآن .. كل الماضى تلاشى خلف ستار كثيف من الضباب .. ولم أعد أذكر حتى أبرز الأشياء » ..

وقد تأكدت من ان خطاباتى تمر اولا على رقيب بعد هذا الخطاب بالذات ..

فقد حضر فى اليوم التالى لارسالى هذا الخطاب طبيب نفسانى اسمه الدكتور جونز .. وكشف على .. وقرر ان فقدانى للذاكرة له طابع هستيرى .. وممكن علاج هذه الحالة عن طريق حقنة اسمها « بانتوثال » فى الوريد .. ولكنى اعترضت بشدة .. فانصرف الطبيب .. وعاد ومعه مندوب من وزارة الحربية يهددنى .. اذ قال لى :

ـ هر رودلف هيس .. نحن نعاملك كاحسن ما تكون المعاملة .. وارجوك أن تتذكر جيدا ماذا كان يمكن ان يفعله الجستابو

الألمـانى مـع اى وزير بريطانى يقـع فى الأسر .. لذلك ارجـو الا تضطرنا لتغيير المعاملة .. اطع الأوامر كلها .. لأنهـا كلها فى صالحك .

وهنا اسلمت ذراعى بخضوع ـ لم اكن اعرفه من قبـل ـ للطبيب الذى اعطانى الحقنة .

وساءت حالتى الصحيـة والنفسية بشـدة .. حتى ان كل علاج لم يكن ليفيدنى قط .. فرغم كل الحقن والحبوب والجلسات الكهربائية .. لم تتحسن حالتى .. بل ازدادت سـوءا .. كان العلاج الوحيد كما قرر الأطباء هو العلاج النفسانى .. اى الافراج عنى .. ولكن بريطانيا لم تكن مستعدة لمجرد التفـكير فى اعطائى هذا العلاج .. حتى لو كلفها الأمر ان أفقد عقلى بالكلية .. او ان افقد حياتى ! !

◆ ◆ ◆

وكان يوم ٤ فبراير ١٩٤٥ يوما لا ينسى قط .

فقد استيقظـت مبـكرا فى ذلك اليوم .. وطلبت مقـابلة الدكتور جونز فورا .. وقلت له :

ـ عزيزى الدكتور جونز .. ان ذاكرتى اصبحت جيدة الآن .. ولكن عندى كلام خطير للغاية أريد ان اقوله .

ـ تفضل .

ـ ان اليهود قد توصلوا الى طريقة لتنويم الساسة مغناطيسيا دون أن يحس الساسـة باى تغيير فى شخصياتهـم .. وبذلك اصبح الجنس الآرى يحارب بعضه بعضا حتى كاد ان يفنى .

وبعد يوم صدرت التعليمات للدكتور جونز لكى يجـرى على اختبارا نفسيا .. وقد كتب الطبيب تقريرا بعد الاختبار يقول فيه :

« ان فكرة معينة ثابتة تمكنت من عقلـــه من قديم الأزل .. سيطرت عليه ، وأفقدته ارتباطه بالواقع تماما .. وهذا يحـدث لكثير من المفكرين فى العالم .. ولعل هتلر نفسه يعانى من نفس الداء » ! !

◆ ◆ ◆

وفى ظهر اليوم نفسه طلبت من أحـد السعاة أن يحضر لى سكينا لقطع الخبز .. فجاءنى بما أريد .. فقمت وارتديت ملابس الطيران الألمانى التى وصلت بها الى اسكتلندا .. ودخلت حجرة الجلوس .. وجلســت فى أفخم كـرسى « فوتيل » . وطعنت نفسى فى جنبى الأيسر .. حيث أحدثت جرحا خطيرا غائرا .. ونزف الدم منى ..

كنت أريد باختصار أن أنتحر ، وأنا ألبس ملابس جيشى .. وبلدى .. انتحر وأنا مـرتد نفس البدلة التى قمـت بها بأعظم محاولة من أجل انقاذ البشرية .

وعلى الرغم من شدة الألم فأنا لم أتأوه قط .. الى أن جاءنى شاى بعد الظهر .. فاكتشفوا أمرى .



الفصل العاشر

اليهود يحولون الشرفاء إلى أوغاد !!

منذ أربع سنوات لم أقابل مسئولا بريطانيا واحدا .. ولم أكن أتوقع أن يحدث ذلك .. فقد بدأ الخط البيانى للحرب يسير فى غير صالحنا .. انكسار الجيش الألمانى فى روسيا .. نزول قوات الحلفاء فى أوروبا لفتح أكثر من جبهة .. تقهقر ألمانى على طول الخط .. رغم البسالة الرائعة وقصص البطولة والفداء النادرة الحدوث .. ولكن المعنويات لا يمكن أن تقف وحدها مهما أوتيت من صلابة أمام القنابل .. سواء تلك القنابل المندفعة من فوهات المدافع ، أو تلك التى تسقط من الطائرات المحلقة فى السماء !!

لذلك كان غريبا أن يطلب مقابلتى شخص هام يوم ٤ يونيو سنة ١٩٤٥ ..

ترى من هو ؟؟!

انه سفير سويسرا فى لندن .. جاء ليطمئن على .. ويعطينى هدية ثمينة .. مجموعة من الكتب الألمانية وبعض الملابس الأنيقة ؛ وشيئا من المأكولات التى حرمتنا منها ظروف الحرب .

ولم يشأ السفير أن يتحدث معى كثيرا .. كان كل ما يهمه هو الاطمئنان على صحتى .. ثم انصرف !!

واخذت افكر بعد ان انصرف الضيف الكبير .. ترى من اوفده ؟ .. هل اتصل به الرايخ لكي يطمئن على ؟ .. هل جاءنى بعد سلسلة من الاتصالات الديبلوماسية بناء على تعليمات من هتلر ؟ .. أو .. هل الفوهرر لا يزال يذكرنى رغم كل المصائب التى تحيط به ؟ ؟ .. هل هو فى حاجة الى الآن اكثر من اى وقت مضى ؟ ؟ .. هل هو يريد أن يعرف مكانى بالضبط الآن ليقوم بمغامرة اخرى لخطفى ؟ ؟ .

لم تكن الهدية ــ رغم انها قيمة ــ لها اهمية عندى .. فلم تكن نظرتى للحياة مادية فى يوم ما ..

ولكن الزيارة كانت لها مغزى أعمق من هذا بكثير .

اذن يجب أن اتفاءل .. وانتظر حدثا هاما .. أو فرجا قريبا !!

◆ ◆ ◆

ووجدت فى نفسى رغبة شديدة فى قراءة الكتب .. ثم وجدت ميلا للكتابة لزوجتى .. « الزى » .. فكتبت لها خطابا طويلا جدا .. قلت لها فيه :

« عزيزتى مامى الصغيرة ..

« اليك هذا الخبر السار .. لقد عادت الى ذاكرتى مرة اخرى .. وكان الأطباء هنا فى تشخيصهم لمرضى على صواب تماما .. ان الطب فى بريطانيا تقدم مثل الطب عندنا !! ..

« وانا أقرأ الآن فى مؤلف كونراد جونتر واسمه « ناتولين » ــ اى الطبيعة ــ وقد وجدت فى هذا الكتاب فقرة أشعر انها تنطبق على تماما .. الفقرة تقول : « ان عمل الرجل العظيم لا تؤتى ثمراته الا بعد وفاته ، لأن الحاضر لا يمكن أن يلم به أحد » وهل يمكن أن تكون هناك اى بطولة أعظم من السير بلا تردد فى

طريق مهمة جليلة يضعها المرء نصب عينيه منذ اللحظة الأولى ..
حتى لو بدأ الطريق الذى اختاره احيانا مغلفا بالضباب والتيه ..
أو حتى لو أصبح الطريق كله مسيرة من الألم والعناء ...

« وحياتى — يا الزى — فى السجن مثل الماء .. بلا طعم ، وبلا لون ، وبلا رائحة .. ولكن لا بد منها ! ! .. واذا قلت لك انني سعيد اكون كاذبا .. واذا قلت لك انني غير سعيد ، فالعالم كله كذلك ، وربما كانت درجة تعاستي مخففة عن اناس كثيرين ..

« معاملتى هنا لا أقول انها سيئة .. ولا حسنة .. كل طلباتى مجابة .. ومع ذلك أشعر بشىء من العناد .. أنا مثلا لا أحب « الكارى » كثيرا .. ولكنهم يكثرون منه فى الطعام .. ومن الأمثلة الأخرى اننى كرهت سماع الراديو منذ تلك اللحظة التي سمعت فيها انباء معركة ستالينجراد .. فاذا بالحراس يرفعون صوت الراديو عند اذاعة نشرات الأخبار .

« ومع ذلك فهناك عدد من الضباط من ابناء أحسن العائلات البريطانية احببتهم كثيرا .. ونفس الشىء ينطبق على الطبيب والمرضات .. وحيث أنهم لم يكونوا مجرمين اصلا ، لأنهم من الجنس الآرى . فان الفكرة التى واتتنى هى أنهم لا بد أن يكونوا من « المخبولين » ! ! .. على أى حال .. لم تكن لهم تصرفات شاذة .. ولكن ما لفت نظرى هو عيونهم التى كانت تبدو متغيرة من حين لآخر .. وهذه أول مرة فى حياتى أعرف أن هناك عقارا معينا يمكن أن يضع شخصا ما فى حالة جنون مؤقتة ! !

« ثم طرات لى فكرة أخرى .. ان هؤلاء القوم قد نوموا تنويما مغناطيسيا .. وقد عبرت عن هذا الشك للمسؤلين البريطانيين .. الذين قابلوا كلامى على أنه فكاهة غريبة ! !

« وساضرب لك مثلا على ذلك .. الدكتور جونز .. وهو طبيب على خلق كبير ، منحدر من عائلة ارستقراطية .. أبدى اعجابه

بآرائى الاشتراكية .. وناقشنى فى برنامج الحزب الوطنى الاشتراكى الألمانى « النازى » .. ولشد عجبى حين وجدته قد قرأ بامعان النسخة الانجليزية من كتاب « كفاحى » .. كانت عيناه فى اليوم الأول تبدوان صافيتين . وكان متزنا تماما .. ولكنه حين عاد فى صباح اليوم التالى كان قد تغير تماما .. ولاحظت عينيه « الزجاجيتين » الغائبتين عن الوعى ! !.. وعندئذ لم يعد هناك مجال للشك فى أن هناك مادة كيمائية سرية تحول الناس الشرفاء الى أوغاد ! ! .. واذا لم يكن هناك شيء مادى مثل هذه المادة الكيمائية ، فلا أقل من التنويم المغناطيسى !!

ان اليهود ـ يا الزى ـ وراء كل هذا ..

.. وقد تناقشت مع أطبائى فى هذا الشأن ، فقالوا لى ان « اضطرابى العقلى ناجم عن ضميرى المتعب بسبب معاملة اليهود التى أعد مسئولا عنها » .

« فاجبتهم بأنه لم يكن من واجبى وأنا فى السلطان أن أقرر الطريقة التى يعامل بها اليهود ، ومع ذلك ، فلو كان الأمر بيدى ، لفعلت أكثر من هذا من أجل حماية الجنس الآرى كله ، بل والبشرية جمعاء من هؤلاء المجرمين « اليهود » دون أن يقلقنى ضميرى أبدا .

« ولكى تعرف أثر اليهود فى ملاحقتى .. سأروى لك هذه القصة :

« .. أردت ان أشغل نفسى ببعض النشاط الجاد ، فبدأت فى ترجمة كتاب بالانجليزية الى الألمانية ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى لاحظت أن الأدوات التى استخدمها فى هذا العمل ، وهى بالذات قاموس انجليزى ألمانى قد بدأ يبلى بسرعة تزداد يوما بعد يوم !! وتجعله غير صالح للاستخدام !! .. لذلك أعلنت اننى توقفت عن الترجمة ـ حتى يكف اليهود عن سحرهم ـ ولكنى

Keine Injektionen mehr!
Die ersten Injektionen
hat das Gestalt... in
keiner Weise gebessert
das eine große
Nervosität hervorgerufen.
Bei Beantwortung der
während der Experimente
gestellten Fragen hat
bewiesen daß das
Gedächtnis noch vorhanden
und nur vorüber-gehend
gestört ist. Die Ärzte
sind überzeugt daß es in
Deutschland wiederkehrt.
Also keine Sorge und
Aufregung wenn das
Gedächtnis augenblick-
lich noch so schlecht ist
und Du sogar Personen
nicht wiedererkennst die
Du vorher schon einmal
gesehen hast.
Auf alle Fälle:
Keine Injektion!

.. ووجدت فى نفسى رغبة شديدة فى قراءة الكتب .. ثم وجدت ميلا للكتـــابة لزوجتى (الزى) .. فكتبت لها خطابا طويلا جدا .. شرحت لها فيه دور اليهود .. وكيف أنهم يستطيعون تحويل الشرفاء الى أوغاد ..

واصلت الترجمة سرا ، عندما اكون وحدى فى الحجـرة ، وقد تظاهرت أمام الكافة ان هذا القاموس لم تعد له أهمية عندى .. ومع ذلك استمررت استخدمه سرا لمدة ستة أشهر فلم تبد عليه علامات البلى طول هذه المدة .. حتى انتهيت من مهمتى » !!

◆◆◆

كتبت هذا الخطاب فى يونيو ١٩٤٥ ..

وفى ٩ أكتوبر ١٩٤٥ .. جاءنى خبر لا يمكن تصديقه بسهولة .. قائد السجن يطرق الباب ليقول لى بلهجة حاسمة :

ـ غدا ستعود الى المانيا ..

ـ ماذا تقول ؟ ؟ ! (هكذا سألت دون أن اصدق ما سمعته).

ـ اقول الحقيقة .. عليك أن تحزم أمتعتك اليوم .. وتودع أصدقاءك هنا .

Rudolf Hess.

امضاء هيس على خطاباته الى زوجته

الفصل الحادي عشر

حالتي العقلية
حيرت العالم كله !!

لم اصدق نفسي .. يوم ١٠ اكتوبر .. وانا اصعد سلم الطائرة التي اقلعت بي الى المانيا .. حقيقة علمت انني في طريقي لساحة المحكمة .. ولكنها قطعا خطوة نحو الحرية .. فلا يمكن أن تدينني اي محكمة عادلة .. لقد اسرت طول مدة الحرب تقريبا .. فلا يمكن ادانتي بما يسمونه بجرائم الحرب النازية .. ثم أن الصحف كلها تؤكد أنى مريض عقليا !! .. اذن مكاني الطبيعي هو احدى المؤسسات العلاجية بالمانيا لعلاجي ثم اخلاء سبيلي .



كان الوقت في ساعة متاخرة من الليل عندما وصلت الى سجن نورمبرج في المانيا فاستقبلني هناك الكولونيل « بورتون اندروس » .. وقال لي بلهجة حاسمة :

ـ عليك ان تخلع ملابسك كلها .. وتعطينا حاجاتك .. وترتدي ما نعطيه لك من ملابس .. هل هذا مفهوم ؟ ؟

ـ كولونيل اندروس .. كيف تتكلم بهذه اللهجة .. الا تعرف من انا ؟ ؟ ! ! .. انني الرجل الثاني في الرايخ الألماني .. واذا كانت المانيا قد خسرت الحرب فانا اسير حرب عالي الرتبة لي معاملة خاصة ـ

ـ هنا لائحة يجب ان يخضع لها الجميع دون تمييز .. ولا تضيع وقتك فى المنافسة (هكذا رد الكولونيل بجفاء سديه).

وانتابتنى كآبة شديدة .. والأيدى الغليظة تتقاذفنى لتعرى جسدى أمام الجميع ! !

◆ ◆ ◆

وفى صباح اليوم التالى اجرى على كشف طبى شامل دقيق .. وجاء التقرير كالآتى :

« صحة رودلف هيس الجسمانية طيبة ولكنه يشكو من نقص فى الوزن ، وهو يقظ وايجابى .. ولكن عملياته الفكرية ضعيفة بسبب قصور فى ذاكرته .. فقد كانت اجابته على معظم الأسئلة : لا أعرف .. أو لا أستطيع أن أتذكر .. وهو يعانى من آلام فى المعدة بسبب كثرة التفكير .. والتشخيص الدقيق لعلته فى المعدة هو أنه رد فعل هستيرى بدون علة مادية أساسية .. ورغم حدة الألم فى بعض الاحيان الا انه صبور ، يتحمل الالم بصبر غريب دون أن يتأوه . .وهى ظاهرة غريبة أيضا » .

◆ ◆ ◆

وكنت عند مغادرتى سجن ميندیف كورت فى ويلز قد اخذت كل قطع الشيكولاته والبسكويت والخبز والسكر والتوابل وأنواع الطعام الأخرى التى كانت عندى فى الحجرة ، ووضعتها فى طرد وأخذت الطرد معى فى الطائرة .. ولكن ادارة سجن نورمبرج صادرت الطرد منى .. وبعد ثلاثه أيام جاءنى مندوب السجن ليسلمنى الطرد ، فرميته فى وجهه ! !

◆ ◆ ◆

وقد سببت حالتى العقلية حرجا شديدا لمحكمة نورمبرج العسكرية الدولية .. فمحاكمة نورمبرج ستكون محورا لاهتمام صحافة العالم بأسره..لذلك كانت المحكمة مهتمة بحالتى جدا..

فاجتمعت خصيصا من اجلى .. وبعد مداولات طويلة اصــدرت القرار التالى :

« لا يمكن محاكمة متهم لا يستطيع أن يفهم التهمــة الموجهة اليه وغير قادر على الدفاع عن نفسه .. لذلك قررت المحكمة أن يجتاز المتهم رودلف هيس نائب الفوهرر هتلر اختبارين دقيقين للغاية : الاختبار الأول قبل المحاكمة لكى يقرر صلاحيته للظهور امام احكمة أم لا .. فاذا ما مثل أمام المحكمة وقررت المحكمة انه مذنب .. فانه يجب أن يجتاز اختبارا ثانيا على يد فريق من الأطباء النفسانيين والاجتماعيين يمثلون جميع الدول المتحالفة..» فلعل الفحص الكامل لعقلية أحد قادة الفاشيست يمكن أن يقدم مادة علمية لا تقــدر بثمن عن كيفية التفــكير النازى الذى أدى بالعالم كله الى هذا الوضع الذى نعانيه الآن » ..

ومنــذ يوم ٧ نوفمبر حتى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ حين بدات المحاكمة .. ظللت تحت فحص طبى كامل .. لا يخلو من الطرافة والذكاء .. وانا هنا أنقل فيما يلى نص التقرير الذى كتبه اكبــر الأطباء فى اربع دول كبرى عن حالتى الصحية والعقلية :

« فى يوم ٨ نوفمبر .. اطلعنا المتهم رودلف هيس على عدة فقرات مختارة من الصحف الألمانية التى تتحدث عنه وعن سائر زعماء النازى بكل سخط وقبح .. ليعرف كيف تدينه الآن صحافة بلاده .. وكان الظن انه قد يفعل او يقــول شيئا ما يدل على أن فقدان ذاكرته كان من باب الادعاء ، غير اننا ــ ونحن نراقبه من خلف ستار ــ نجمع على أن هــذا الشخص اما انه فاقد الذاكرة فعلا او انه شخص محصن ضد اى انفعال .. والاحتمال الثانى اقوى عندنا !! ..»

« وفى يوم ١٠ نوفمبر اجلسناه فى حجــرة ثم ادخلنا عليــه اصــدقاءه الثلاثة الذين لم يرهم منــذ سنوات وهم : جورنج ،

وهوشوفير ، وروزنبيرج .. فقد كان وثيق الصلة جداً بهؤلاء الثلاثة بالذات .. وبعد مراقبتنا له من بعيد وجدناه يحدق في وجوههم بنظرة خالية تماما من اى معنى ، كأنما لم يرهم مطلقا في حياته !!

« وفي ١٨ نوفمبر تعرض المتهم لبعض المناورات المفاجئة .. فكان يجلس وظهره للباب ، ثم فجأة يجد امامه سكرتيره الخاص الذى لم يره منذ خمس سنوات تقريبا .. فلا يبدو عليه اى تأثير ..

« ومع ذلك فنحن اطباء الدول المتحالفة نقرر صلاحية المتهم رودلف هيس للمثول أمام المحكمة .. لأنه يبدو ان المتهم ليس مجنونا ، ولكنه قوى الانضباط النفسى ، مع شىء من الذكاء النادر .. وقد ظهر لنا ذلك من ثلاث حوادث نسردها فيما يلى :

■ في يوم ١٤ نوفمبر عندما قام الطبيب البريطانى بتوجيه بعض الأسئلة له عن تجربته في بريطانيا.. بدأ يجيب بالانجليزية ، ثم فجأة قرر انه لا يجيد الانجليزية ، ولا يستطيع أن يفهم سوى الأسئلة التى تقال له بالألمانية بواسطة مترجم .. وهذا دليل على انه شديد الذكاء .. لأن استخدام المترجم سيجعل الأسئلة المفاجأة تفقد قيمتها المفاجئة .

■ كان في اجاباته يلجأ دائما لعبارة لا يعرف أو لا يتذكر .. الا فيما يتعلق بالفوهرر هتلر ، فانه كان يجيب على كل الأسئلة الخاصة بالفوهرر اجابات مستفيضة لا تدل على فقدان الذاكرة ، وهذا دليل على أنه يعلم تماما أن الفوهرر غير موجود هنا ، فلا بأس من الكلام عنه ما دام لن يمثل أمام المحكمة .. وهذا دليل ذكاء وحضور بديهة !

■ ثم تلك الحادثة الصغيرة التى وقعت مع سكرتيره الخاص السابق تؤكد ما توصلنا اليه من قرار .. فقد اجاب على احد

أسئلة السكرتير بأنه لا يعرف .. فتقدم سكرتيره الخاص نحوه بتاثر شديد ، وناوله صورة لزوجته وابنه وقال له :

ـ انظر الى هذه الصورة لعلها تساعدك على التذكر .

فازاح المتهم هيس الصورة بانفعال وهمس فى اذن سكرتيره قائلا :

ـ لا أريد مساعدة منك الآن ايها الغبى .

لذلك نحن نرى ان نائب الفوهرر يستطيع ان يمثل غدا أمام المحكمة » .



وفى يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ وقفت فى قفص الاتهام امام محكمة نورمبرج العسكرية الدولية .. مع ٢٠ آخرين من زعماء الحزب الوطنى الاشتراكى الألمانى (النازى) .. وقفت فى قفص الاتهام بناء على هذا التقرير الطبى « الغبى » الذى وقعه ١٢ طبيبا !!

ومدينة نورمبرج مدينة المانية دمرتها قنابل الحلفاء بلا رحمة تدميرا رهيبا !! وحولت منازلها الجميلة الى أنقاض فوق أنقاض !! فجعلت منها مقبرة لآلاف الجثث !!

اما مقر المحكمة ، فكان قصرا حديثا اعيد ترميمه بل بناؤه خصيصا لهذا الغرض .. وكانت قاعة المحكمة فسيحة على شكل مستطيل .. جدرانها مغطاة بالخشب ، وستائرها من المخمل الأخضر ، وكانت الستائر مسدلة باستمرار بحيث تمنع ضوء الشمس من الدخول .. بينما المصابيح الكشافة القوية تعكس ضوءها باستمرار وبلا رحمة فوق رؤوسنا !! .. وعلى امتداد الجدران كانت هناك قمرات صغيرة مضيئة .. وكانت الأبواب والجدران عازلة للصوت تماما .. وفى مواجهتنا مقصورة مخصصة لـ ١٥٠ صحفيا ومصورا ومترجما فوريا .

وذات يوم سألت قائد السجن : اندراوس :

ـ هل سنمثل أمام المحكمة بملابس السجن ؟

ـ لا . سنعطيكم ملابس أخرى ..

ـ لكنى لن أمثل أمام المحكمة الا اذا ارتديت بدلتى الرسمية .. كنائب للفوهرر .

فأجبت الى طلبى على شرط نزع النياشين والأوسمة من فوق صدر البدلة .. وكان ذلك له وقع فى نفسى أحسد سوءا مما لو لم ألبس أى شىء .. كنت أفضل الوقوف أمام المحكمة عاريا من أن ينزعوا النياشين من فوق صدرى !!

ألم أقل لك أنهم كانوا يجيبوننى لكل طلباتى بشكل يثيرنى ويزيد من سخطى !! ..



وكان مسموحا لنا بزيارة طبيب وحلاق كل يوم ، وقراءة الصحف والكتب ، وأخذ ما نريد من السجاير أو السيجار ، ونستطيع أن نطلب ما نريد من المشروبات .. كما كان مصرحا لنا بحضور قداس الكنيسة .

واذكر أن زعماء الحزب رحبوا جدا بحضور القداس ما عداى .. وقد فوجىء الحارس عندما رآنى داخل الزنزانة ولم اذهب للقداس .. فسألنى :

ـ هل أنت مسيحى أم بلا دين ؟

ـ يجب أن يكون الحارس مهذبا .. (هكذا رددت عليه) .

ـ لا تؤاخذنى .. أنا أريد أن أسالك عن ديانتك ..

ـ أنا مسيحى ..

ـ اذن لماذا لم تذهب للقداس ؟ ؟

ـ ان هؤلاء الذين هرولوا الى القداس يخشون الموت .. اما انا فلا أخافه .. بل أرحب به .

◆ ◆ ◆

وفى صباح يوم ٢٠ نوفمبر .. الصباح الباكر جدا .. قرأت صحف الصباح وكانت تقول :

((ان هؤلاء الذين تسببوا في مصرع ملايين الأبرياء من البشر في جميع أقطار العالم نتيجة لأفكارهم السياسية والفلسفية التى تبنوها .. يقفون اليوم أمام عدالة القضاء .. ليقول فيهم كلمته الفاصلة)) .

كنت تعسا للغاية بعد قراءة هذه السطور ، وغيرها من المقالات قبل مثولى أمام المحكمة .. وتساءلت : هل بعد نصف قرن من التحصيل والعلم والدراسة والتعمق فى النظريات العويصة من أجل عالم أفضل .. هل يكون هذا مصيرى .. ألم يكن الأجدر أن يستقبل تشرشل وتنجح مهمتى ؟ ! !

وجلست فى قفص الاتهام بجوار هرمان جورنج ، ويواكيم فون روبنتروب ، وجوليوس سترايتشر ، والفريد روزنبرج .. جلست جامد الوجه .. شارد الفكر .. عيناى تحملقان فى لا شيء .. كان الكل حولى يعتقدون اننى أتصنع الجنون ، ولكن الحقيقة ان مقالات الصباح دفعتنى لمعاودة تقييم نفسى .. وتاريخى .. وحياتى .. ولا تهمنى تلك التهم التى وقف ممثل الاتهام يتلوها وهى :

١ ـ التآمر أو الاشتراك بصفتهم قادة أو تابعين فى ارتكاب جرائم ضد السلام .. عن طريق التخطيط والاعداد للحرب .. ثم اشعالها .. ثم الاستمرار فيها .

٢ ـ ارتكاب جرائم الحرب بما فيها جرائم القتل والارغام على أعمال السخرة وقتل الاسرى والرهائن .

٣ ـ ارتكاب جرائم ضد الانسانية جمعاء .. مثل القتل الجماعى والابادة على أساس الاضطهاد العنصرى والسياسى والدينى .

◆ ◆ ◆

وكانت محكمة نورمبرج هى أول محاولة جادة من الانسان لتجريم الحرب على النطاق العالمى .. ولعل هذا هو السبب فى ان كثير من اجراءاتها كانت معقدة .. وربما فى حاجة الى بعض النضوج .

ولكن لى ملاحظة .. بسيطة :

الم يكن هناك بين الحلفاء من ارتكب بعضنا وربما الكثير من هذه الجرائم ؟ ؟

الا تزال كل هذه الجرائم ترتكب ـ وربما بصورة أفظع وابشع ـ ترتكب اليوم بعد ٢٥ سنة من انتهاء الحرب .. وفى أماكن كثيرة من العالم ؟؟

ام ترى ان هناك شرطا خفيا ـ ولكنه هام ـ لم تشر اليه محاكمات نورمبرج .. وهو ان مجرم الحرب لا يمكن ان يكون مجرما الا اذا كان مجرما مهزوما ؟ ؟ ! !



الفصل الثاني عشر

حينما واجهت المحكمة بكل صراحة ..

منذ اللحظة الأولى لبدء محاكمة نورمبرج قررت ان اتخذ موقفا معينا لا أحيد عنه !

لم اكن حريصا فى يوم ما على حياتى .. فما هو اقسى حكم ؟ .. الاعدام مثلا .. لا يهمنى الموت .. بل ارحب به !!

لذلك قررت اتخاذ موقف التجاهل التام وعدم المبالاة .. وذلك على عكس زملائى اعضاء الحزب النازى المتهمين معى .. كانوا هم أحرص ما يكونون على الحياة .. وكنت أنا لا ارفض الحياة طبعا ، ولكنى غير حريص عليها .. الحياة عندى بلا كرامة كالموت تماما !!

لذلك كنت اجلس فى قاعة المحكمة مسندا ظهرى الى المسند الخلفى للدكة التى نجلس عليها ، بينما جلس الزملاء فى وضع تحفز وقد اشرأبت اعناقهم ، ومالت صدورهم الى الأمام ..

بل اكثر من هذا .. انى لم استخدم قط السماعات التى تتيح لى متابعة كل ما يقال مترجما الى اللغة الالمانية .. ولذلك لكزنى جورنج بكوعه .. وسألنى :

— الم تسمع ما يقال ؟ ؟

ـ فقلت له :

ـ انا لا اعترف اصلا بشرعية المحكمة ! !

فنظر الى جورنج باستغراب .. ثم صمت .

◆ ◆ ◆

لذلك كانت الجلسة مملة جدا بالنسبة لى .. وكان هذا سبب فى انى حرصت على ان احضر معى فى اليوم التالى قصة بولسية .. اخذت اقرؤها بامعان واستغراق .. حتى اننى كنت لا احس تماما بكل ما يدور حولى .

وقد استفز هذا التصرف كل زملائى من قادة النازى الذين عقدوا العزم على الكفاح حتى النفس الاخير لانقاذ رؤوسهم .. لذلك اتصلوا بالدكتور « فون روهرشيدت » .. وهو المحامى الذى انتدبته المحكمة للدفاع عنى .. وقالوا له :

ـ يجب ان نتفق جميعا على خطة واحدة لمواجهة المحكمة .

فقال لهم المحامى :

ـ ان موكلى هيس قرر عدم الاهتمام باجراءات المحاكمة .. فهو لا يعترف بهـا اولا .. ثم هو مقتنع تمامـا مائة فى المائة ان الحكم سيكون بالاعدام لجميع قادة النازى .



وفى الجلسة الثالثة ، بينما كنت منهمكـا فى تكملة القصـة البوليسية المسلية جـدا التى كانت معى ـ وعـادة تحلو قـراءة القصص من منتصفها حتى نهايتها .. وتزداد حلاوة وطلاوة كلما اقتربت من النهـاية .. لذلك غاظنى القـاضى البريطانى « لورد لوتس » رئيس المحكمة ، عندما رفع صـوته اكثر من اللازم .. وقد اتجه بوجهه نحوى .. كانه يوجه الكلام لى .. وهو يقول :

ـ الدفاع عن المتهم رودلف هيس .

فنهض الدكتور « فون روهرشيدت » .. وتقدم نحو المنصة

... كنت أريد أن أكمل الرواية التى معى .. فهى خير مما سيقوله هذا المحامى .. ولكنى رأيت أن ما يجرى امامى الآن أيضا لا يعدو أن يكون مسرحية فكاهية .. مسرحية حية .. اذن فلا مانع من أن أشاهدها .. أو أشاهد فصلا منها على الأقل .. فطويت القصة موقتا .. لأسمع الدكتور « روهر شيدت » يقول :

ـ اذا سمحت لى المحكمة .. فأنا حاضر عن المتهم رودلف هيس .

فهمهمت قائلا :

ـ لا بد انه مخبول .. محام .. لماذا ؟ !

ثم سمعت « روهر شيدت » يواصل دفاعه فيقول :

ـ ان على المحكمة أن تقرر أولا .. هل المتهم صالح للمثول امامها ام لا ؟ ؟ .. هل هناك ظروف قائمة ترفع عنه المسئولية تماما ام لا ؟ ؟ ..

وفى رأيى الخاص أن المتهم فى حالة لا تسمح له بالمثول أمام المحكمة .. لأنه فى حالة عقلية لا تسمح له بأن يقول وهو فى كامل قواه العقلية هل هو مذنب أم غير مذنب .. وهذا شرط للمثول أمام المحكمة .. لذلك فانى أطالب أولا بوقف محاكمة موكلى هيس موقتا .. فاذا لم تشأ عدالة المحكمة اجابة هذا الطلب ، فانى اطالب باحالة هيس الى الفحص الطبى الشامل على أيدى خبراء متخصصين ليقولوا كلمتهم فى هذا الشأن .

ومضى المحامى فقال :

ـ واحب بهذه المناسبة ان اقول ان المتهم نفسه يعتقد انه فى حالة تسمح له بالمثول امام المحكمة ، ويريد ان يقول ذلك بنفسه إمامكم ..

فقلت لنفسى :

ـ من قال له اننى أريد أن أتكلم أصلا أمام المحكمة .. كل ما قلته له اننى لست مجنونا .. بل هم المجانين .. فلما قال لى ان هذا الكلام لا يضرنى ولا ينفعنى .. قلت له : أنا مستعد لأن أقول هذا الكلام للمحكمة نفسها .. فهل يريد منى أن أقول لهم انهم مجانين .. يبدو أن هذا المحامى مجنون أيضا ! !

ثم سمعت المحامى .. وهو يستطرد قائلا :

ـ ان الجرائم التى يطالب المتهم بالمسئولية عنها جرائم بالغة الخطورة .. ومن المتوقع جدا أن يكون الحكم فيها بالموت .. ولكن هذا يتعارض مع العدالة اذا قرر الاخصائيون أن المتهم عاجز عن الدفاع عن نفسه .. أقول هذا رغم أن المتهم مصر على أن يحضر ويحاكم ويصدر الحكم ضده .. وانا اتخذ كلامه هذا دليلا ضده .. دليلا ضد قواه العقلية القاصرة عن ادراك مدى خطورة الموقف .

وهنا نهض ممثل الادعاء البريطانى سير ماكسويل دافيد .. وقال :

ـ اذا سمحت لى المحكمة .. المسألة هى ما اذا كان المتهم قادرا على أن يفهم ما يوجه اليه من تهم أم لا .. ثم استطاعته ابداء رأيه فى التهم الموجهة اليه .. واعتقد أن تقرير الأطباء الدوليين يؤكد انه يستطيع المثول أمام المحكمة .

وهنا قال رئيس المحكمة :

ـ يبدو أن المدعى الأمريكى جاكسون عنده كلام يريد ان يقوله :

فوقف جاكسون ببطء ، ليتحدث بكلمات بطيئة ثقيلة .. وكان بودى أن أقول له : « اسرع انى اريد أن أكمل القصة التى معى فهى خير منك » ؟ !

ـ واخيرا بعد أن نفد صبرى .. قال :

ـ ان المتهم فى كامل قواه العقليـة .. واذا كان يعـانى من حالة هستيرية خفيفة فلها علاج حاسم .. وقد قرر أكبر أطباء العالم أنه صالح للمثول أمام المحـكمة ، خصـوصا اذا تم هذا العلاج .. ولكن المتهم يرفضه بشـدة .. رغم أهميته .. ولكن رفضه للعلاج لا يمنع أن حالته تسمح له بالمثول أمام المحكمة .

◆ ◆ ◆

ثم ساد القاعة صمت رهيب .. قطعه رئيس المحكمة بقوله :

ـ دكتور روهرشيدت

ـ نعم ..

ـ ان المحكمة تود لو وافقتم ان يدلى المتهم هيس نفسه برأيه فى هذه المسالة .

وهنا رمقنى المحامى بنظرة استفسار خاطفة .. ثم قال :

ـ انا كمحام لا يوجد لدى بالطبع اى اعتراض .. ولكن أعتقد ان هذا يرجع الى رغبة المتهم شخصيا .

◆ ◆ ◆

وهنا اتجهت الأنظار كلها نحوى .. حتى عدسات الكاميرا .. وعدسات الـكاميرا هى عيون العالم خـارج القاعة .. فرسـمت ابتسامة ساخرة على وجهى .. ونهضـت بكل ثقـة .. وبنفس الطريقة التى كنت أقف بها أمام اجتماعات النازى الضخمة وقفت أمام الميكروفون .. وأخرجت من جيبى بيانا كنت قد كتبته منذ أول يوم وصلت فيـه الى نورمبرج للدفاع عن نفسى .. غير أنى كنت قد قررت الاقلاع عنه .. ولكن ما الحيلة ؟ .. لا بد أن أقرأ الآن هذا البيـان فوق رؤوس هـؤلاء الجبناء ! ! .. ما دامـوا يصرون على ذلك .. وقد خجلت من شىء واحـد فقـط .. ان المظـروف الذى به البيـان كان قد بلى تمامـا .. وأصبح قذرا

مهلهلا .. وكان اخراج هذا المظروف من جيبى موضع استغراب الجميع .. ثم وضعت بكل هدوء القصة التى كانت فى يدى فوق المنضدة أمام القضاة .. وقد تركزت العيون على هذه القصة .. كأنهم يقولون : « حقيقة انه مجنون .. يقرأ قصة بوليسية اثناء اخطر محاكمة فى حياته » ..

وهنا قطعت الصمت الذى ساد القاعة حينما قلت :

ـ سيدى رئيس المحكمة .. لكى اقطع كل شك بيقين فى مسالة صلاحيتى للمثول أمام المحكمة أود أن أدلى أمامكم بهذا البيان ... مع انى كنت قد اعتزمت عدم الادلاء به ..

ثم توقفت لحظة عن الكلام .. وعاد الصمت الرهيب مرة اخرى يسود القاعة . ثم استطردت قائلا ـ بصوت واضح ، قوى النبرات ، كانى اخطب فى اجتماع سياسى عام .. ذكرت للمحكمة حقائق لم تكن تعرفها من قبل .. قلت :

ـ قضاتى أعضاء ((هذه)) المحكمة !! .. أحب أن أؤكد لكم ان ذاكرتى قد عادت لى من جديد .. وفى الواقع ان ذاكرتى كانت قد غابت اياما قليلة منذ زمن عندما كنت فى جنوب ويلز ، وذلك بسبب حالة هستيرية معينة .. ولكن ذاكرتى عادت مرة اخرى قبل حضورى الى هنا .. اما ادعائى فقدان الذاكرة من قبل عند وصولى الى هنا فقد كانت له اسباب تكتيكية . ولكن كل ما اعانيه الآن هو ان قدرتى على التركيز قد انخفضت قليلا . وهنا علاج لهذه الحالة ، ولكنى فى غنى عن هذا العلاج الآن .. لا اريد ان تعود قدرتى على التركيز اثناء هذه المحاكمة !!! ..واحب هنا أن أقر أمام المحكمة وأنا بكامل قواى العقلية أننى مسئول مسئولية كاملة عن كل قرار اتخذته طوال المدة التى توليت فيها السلطة فى الرايخ الالمانى .. واحب ان يكون مفهوما ان هذا البيان الذى أدليت به الآن لا يعنى أى تغيير فى موقفى ، فيما

يتصل بعدم اختصاص هذه المحكمة أو عدم اعترافى بها .. كذلك اود ان اقرر هنا اننى فى جميع لقاءاتى مع محامى الدفاع كنت متمسكا بالنسيان وفقدان الذاكرة .. وبالتالى فان المحامى كان يقول ما يعتقد انه صدق عندما اكد لكم الآن انى لا أصلح للمحاكمة .. رغم اننى حذرته من هذا الكلام .. لاننى مصر على ان احضر المحاكمة بجسدى فقط دون عقلى .. لتصدروا ما تشاءون من أحـكام !!

ثم وقفت وقفة عسكرية .. ورفعت يدى مـــؤديا التحية النازية المعروفة باسم « هايل هتلر » .



وأغلقت المظروف .. وطويته ووضعته فى جيبى .. وســاد الصمت الرهيب لحظة .. ثم بدات همهمات كثيــرة .. بدات تزداد حتى ضجت القاعة كلها بالهمس والحركات ذات الصوت .. بينما عدت أنا الى مكانى رافع الراس ، مبتسما لاقصى حـد ، فخورا بنفسى ، وقد تملكتنى « نرجسية » وتيه وتغال لم اشعر به الا ايام الحكم ..

.. كنت أريد هذه الفرصة لكى اقول للعالم كله رايى فى محكمة هذا العــالم .

.. كل هــذا والضــجة ترتفع حولى رويدا رويدا ... فى قفص الاتهام ، وفى القاعة . وفى مكان الصحفيين..حتى المترجمين تركوا سماعاتهم وبدأوا يتكلمون .

.. وعبثا حاول القاضى ان يعيد الهدوء الى القاعة .. ظل يضرب بالشــاكوش الخشبى عدة مرات على المنصــة بعصــبية وهستيرية ... ولكن صوت الشــاكوش ضــاع وسـط هـذا الضجيج .. وفى الوقت نفسه تقدم المحامى الدكتور روهر شيدت

الى المنصة ليتكلم .. والقاضي يطلب منه العودة الى مكانه ، وهو يقول :

ـ لم آذن لك بالكلام ..

والمحامى يصرخ وسط الضجيج ويقول :

ـ سيدى الرئيس ... انا مصر على ان هيس غير صالح للدفاع عن نفسه .. وارجو رفع كل كلام قاله من محضر الجلسة !!

ـ أرجوك .. أرجوك . هدوء .. هدوء . « هكذا كان يقول الرئيس ، ولكن المحامى كان يواصل كلامه »

ـ سيدى الرئيس..ان هذا البيان دليل على صحة ما اقول .. ان قوى موكلى العقلية غير صالحة للمثول امام المحكمة .. ولكن الرئيس قال بحزم :

ـ السيد المحامى يعود الى مقعده فورا ..

وعاد المحامى .. وقبل ان يجلس قال رئيس المحكمة بنرفزة :

ـ رفعت الجلسة ...

وكان هذا هو الحل الوحيد لهذا الموقف ..



وهنا التفت الى جورنج وسألنى :

ـ ما رأيك فى كلام المحامى الدكتور فون روهرشيدت ؟؟

ـ مغفل .. مثل الـ ١٢ طبيبا عالميا الذين حضروا من اربع دول كبرى ... !!

ـ ولكنه يريد انقاذ حياتك باى ثمن .. ياله من محام

ـ كل هذا لن يفيد .. انتظر حكم الاعدام ياهرمان ..

وجورنج اسمه بالكامل هرمان جورنج .. وكنت متعودا مناداته باسمه الاول منذ ايام الحرب الاولى قبل ان نتولى السلطة » .

فقال لى جورنج .

ـ انت شديد التشاؤم ..

ـ بل انا واقعى ..

ثم قلت لجورنج :

ـ قل لى هرمان .. ما رأيك فى البيان الذى ألقيته .. ؟؟

ـ أعجبتنى طريقة الالقاء فقط .. لقد ذكرتنى بطريقتك فى الخطابة فى اجتماعات الحزب الكبيرة وانت تقف مرفوع الرأس شامخ الأنف .. تقول ما تعتقد انه حق .. اما طـريقتك فى الدفاع عن نفسك فلا تعجبنى ..

اما ريبنتروب .. فقد ضرب كفا على كف .. وقال لى :

ـ رودلف ... انك لم تعرفنى عندما قابلتك اول مرة .. هكذا بدا لى وانا اتحدث اليك عندما التقينا هنا .. رودلف انك اول شخص فى الوجود يستغفلنى بهذا الشكل !

وبينما نحن وقوف هكذا فى بهو السـجن .. فى انتظـار ان يدخل كل منا زنزانته .. جاء احد الحراس الامريكان ـ وبهيافته المعروفة ـ امسك بورقة مالية من ذات الدولار ، واخـذ يجمع توقيعاتنا جميعا .. كان يريد ان يجمع توقيعات ٢١ من زعمـاء النازية .. وعندما جاءنى فى اول الامر ازحته بيدى بعيدا .. فظل يجمع توقيعات الأخرين .. الى ان جاءنى اخيرا .. ومعه دولار عليه توقيعات ٢٠ من زعماء النازى .. وقال لى :

ـ لم يبق سوى توقيعك

فأخذت منه الدولار ، ومزقته قطعا صغيرة جدا جدا . وقلت له :

ـ ان توقيعات هؤلاء الزعماء غالية جدا جدا .. كل توقيـع يساوى مليون جنيه .. لا دولارا واحدا !!

وهنا بلغ الغيظ بجورنج اقصى حد .. وسمعته وهو يقول لروزنبرج وريبنتروب ونحن وقوف :

ـ أنا طول عمرى اعتقد ان هيس غير طبيعى .. وهو غير طبيعى بسبب قراءاته الكثيرة ، واعتقاداته الخرافية التى حشاها هوشوفير رأسه بها .. وطول عمرى اقول هذا الكلام للفوهرر . وكان يوما أسود حينما غزونا بولندا .. وأصدر الفوهرر قرارا باعتبارى نائبا اول وهيس نائبا ثانيا .. واذكر الآن جيدا ذلك الحديث الذى دار بينى وبين الفوهرر حينما قلت له : ((أنا أشك كثيرا فى صلاحية هيس لهذا المنصب الخطير)) .. ولكن هتلر قال لى : ((ان هيس هو اقدم اصدقائى واقدم زملائى فى الحزب ولابد ان اكافئه على سنوات كفاحه الطويلة)) .. وظللت معترضا بشدة على تولى هيس منصب النائب الثانى .. ولكنى ارحت نفسى من هذا الموضوع باعتبار انه اذا حدث مكروه للفوهرر سأتولى انا الزعامة .. وهنا تكون لى حرية اختيار نائبى الأول ..

ولكن سترايتشر ... حاول ان يوفق بين الجميع .. فقال :

ـ ان هيس رجل متعلم لدرجة عالية .. وهو خجول وهادىء وعنيد .. يحس باستمرار بمركب نقص امام الطبيعة الديناميكية التى يتميز بها هتلر وجورنج .. وربما هذا الشعور بالنقص بالذات هو الذى دفع هيس الى القيام برحلته الى انجلترا ليصبح بضربة واحدة اهم رجل فى العالم ... اهم من هتلر نفسه .

وكنت اسمع كل هذا ، وغيره .. وانا ابتسم بسخرية .. فسألنى روزنبرج :

ـ ما رأيك فى كل ما قيل عنك الآن يارودلف ؟

فقلت له :

ـ يظهر ان عدد المجانين ازداد بعد الحرب !!!

وأخيرا .. زمجر قائد السجن كولونيل اندراوس :

ـ كل الى زنزانته ..

وكان بدروم القصر الذى تعقد فيه جلسات المحكمة قد حولوه الى سجن .. وكان كل منا يعيش فى زنزانة منفردة .. وقد كتب اسمه على باب الزنزانة .. ولم تكن انوار الزنزانة تطفأ ابدا .. وكان المفروض على كل منا ان يتمدد فى مواجهة الباب . واذا نام يجب ان تكون يداه خارج الملاءة البيضاء .. ورغم عدم وجود اى شيء داخل الزنزانة يمكن استخدامه فى الانتحار الا ان الحارس كان يصرخ اذا ادخل احدنا يده تحت الملاءة !! .. وكان لكل زنزانة اربعة حراس يتناوبون الاربع والعشرين ساعة .. وكان كل حارس يطل طول مدة « نوبتجيته » من كوة معينة يستطيع ان يرى منها كل شيء ..

ومع ذلك .. فقد استطاع جورنج ان يفعل ما يريد .. ليقدم قائد السجن نفسه للمحاكمة ...



منذ اللحظة الاولى قررت اتخاذ موقف التجاهل التام وعدم المبالاة .. وذلك على عكس زملائى أعضاء الحزب النازى المتهمين معى .. كانوا هم أحرص مايكونون على الحياة .. لذلك لم أستخدم قط السماعات التى تتيح لى متابعة كل مايقال مترجما الى اللغة الالمانية

الفصـــل الثانى عشر

رحلتى أمـــام القضـاء

اعتذر لك - مقدما - اذ لم أستطع أن انقل اليك كل ما دار فى جلسات محكمة نورمبرج .. فقد كنت مشغولا بقراءة الروايات البوليسية المسلية !

ولكن هذا لا يمنع من اننى سمعت بعض العبارات التى ذكر فيها اسمى .. فهذه هى طبيعة البشر .. اذا سمع أحد شخصا يردد اسمه فلا بد أن يلتفت اليه !!

لذلك اذكر يوم ١٧ فبراير ١٩٤٦ حينما افتتح « مستر ميرفين جريفث جونز » الدعوى باسم بريطانيا ضد المتهم « رودلف هيس » .. واخذ يتكلم كثيرا ..

وقد لفت نظرى اتهامه لى بأننى أنا الذى أعددت للعدوان ضد النمسا وتشيكوسلوفاكيا .. ثم انا المسئول عن ارسال قـــوات العاصفة الالمانية الى بولندا لاكتساحها فى ساعات .. ثم أسند الى منصبا خطيرا .. وهو اننى الرئيس الاعلى لمنظمة « الالمانيين فى الخارج » التى كانت نواة لانشاء الطابور الخامس النازى فى معظم بلدان العالم فيما بعد ..

وقد سألت نفسى :

- هل من حق المدعى أن يعين أناسا فى مناصب جديدةفىدولة اندثرت وانتهت ؟؟ !! .. لقد اسند لى منصب الرئيس الاعلى

لمنظمة « الالمانيين بالخارج » واننى انشأت ما يسمونه بالطابور الخامس . ماذا كان يعمل جوبلز اذن ؟؟ .. أو لأن جوبلز انتحر يجب أن توزع « تركته » من التهم على « ورثته » الموجودين فى القفص ؟؟ !

ـ ثم هل انا الذى اعددت لغزو النمسا وتشيكوسلوفاكيا . ثم ارسلت قوات العاصفة الى بولندا .. ماذا كان يفعل هتلر بل والرايخ كله اذن ؟؟؟

◆ ◆ ◆

افقت من غفوتى على منظر المدعى جريفث ، وهو يلوح بأوراق معه .. ويتحدث عن رحلتى الى انجلترا .. قائلا :

ـ انها ليست رحلة للسلام .. بل رحلة للحرب .. وانا اتكلم وتحت يدى الوثائق ..

واخذ يقرأ من بعض الأوراق التى امامه .. ويقول :

ـ تعالوا معى نقرأ ما هى الشروط الالمانية لعقد صلح مع بريطانيا : أوربا بأسرها تأخذها المانيا النازية الفاشستية ، مقابل ان تتعهد المانيا بعدم المساس بالمستعمرات البريطانية فيما وراء البحار ، تشرشل يطرد من الحكم ، ويعين بدلا منه رئيس وزراء بريطانى جديد ترضى عنه برلين .. ثم الشرط الاخير الذى استند اليه فى اتهامى،وهو أهم شيء فى عروض المتهم هيس على المسئولين البريطانيين .. هذا الشرط ينص على عقد تحالف عسكرى بين المانيا وبريطانيا لغزو الاتحاد السوفييتى ، لانقاذ العالم الراسمالى كله من خطر الشيوعية ..

وما ان قال المدعى هذا الكلام الاخير حتى ارتفعت الهمسات .. هنا وهناك .. وظلت الهمسات تزداد وتزداد .. حتى اصبحت القاعة فى شبه فوضى .. الكل غير مصدق هذا الكلام الغريب .. حتى من فى قفص الاتهام انفسهم .. العشرون من قادة

النازى لم يكن أحدهم يعرف هذه الحقائق .. على وجه اليقين ، الا اثنان فقط .. هما جورنج وروزنبرج ..

وضربت كفا على كف ، وقلت لنفسى :

ــ يا لسخرية الاقدار !!

لقد كان هذا الكلام عندما ناقشه كبار المفكرين فى مايو ١٩٤١ ــ وكانت يومها بريطانيا تتاوى وتنزف دما تحت وابل لا ينقطع من قذائف طائراتنا وكانت المانيا تسيطر على اوربا باسرها ، وتمسك بها بيد من حديد ـ كان هذا الكلام معقولا .. بل وعين العقل .. والآن .. والآن ، فى نورمبرج عام ١٩٤٦ .. والمانيا مهزومة بلا رحمة ! .. وقادة النازى ــ الذين كانوا بالأمس سادة العالم ــ أصبحوا فى قفص الاتهام .. الآن .. بعد خمس سنوات بين اطلال نورمبرج اصبح الكلام المعقول جدا .. الحكيم جدا .. اصبح يبدو مضحكا كانه نكتة لبعض المهرجين !!

ألم أقل أن المهزوم دائما مخطىء ، والمنتصر دائما على حق .. حتى او كان المنتصر مجرما ؟!!

كان هذا الموقف اقسى على نفسى من كل ما مضى .. هل هكذا تكون « عصارة افكارنا » !! موضع استهزاء بعض السطحيين الذين لا يعرفون من الثقافة اكثر من القشور !! ..

◆ ◆ ◆

وما آلمنى اكثر واكثر هو موقف جورنج ..

جورنج اراد ان يؤكد نظريته بان تدخلى فى السياسة لم يكن اكثر من عبث اطفال .. لذلك ضربنى بكتفه وقال لى باستهزاء :

ــ هل حقيقة هذه هى الشروط التى طرت بها الى بريطانيا ؟

فتعجبت .. وسكت ولم ارد .. وقلت لنفسى : حتى جورنج سار فى موكب النفاق . انه يعلم حقيقة كل شىء ، ووافق على كل شىء ، والآن بعد الهزيمة يتنكر ويسأل !

لذلك لم ارد عليه بأى كلمة .. بل رددت عليه بنظرات اشد قسوة من اى كلام .. نظرات احتقار شديدة .. هل الحرص على الحياة يكون على حساب كل المبادىء والاخلاق والصدق يا هرمان جورنج ؟!!

وكأن جورنج خجل من نفسه .. فعاد يسألنى ثانيا ، رغم اننى لم اجبه على السؤال الاول :

ـ هل قلت هذا الكلام فعلا للمسئولين البريطانيين يا رودلف ؟

كل هذا وانا لم افقد اعصابى بعد .. ولم أرد عليه .. أو انفجر فيه ؟

ثم انهى جورنج حواره الذى كان من جانب واحد !! حينما قال متهكما :

ـ على العموم تهنئة حارة على جهودك العظيمة من اجل تحقيق السلام واقامة حلف راسمالى يسود العالم ..



وفى هذه الاثناء كان زعماء النازى يتناقشون حول هذا الموضوع .. وقد رفض كل الموجودين عدا « شاخت » ان يصدقوا ان هتلر كان لديه ادنى علم برحلتى !! .. أما « شاخت » وزير المالية الالمانى ومدير البنك المركزى للرايخ واكبر عقلية تجارية مالية فى المانيا بل فى العالم .. فقد امسك بشباربه .. وبدأ يفكر .. قبل أن يقول :

ـ لا .. أنا اعتقد ان هتلر كان يعلم بالرحلة ..

وكانت تكفينى شهادة « شاخت » .. ويكفى لكى تعرف قيمة « شاخت » ان الحلفاء اخرجوه من القضية كما تخرج الشعرة من العجين .. ثم استعانوا به فى كل مشروعاتهم المالية ، واخطرها حاليا السوق الاوربية المشتركة ؟!!

الفصـــل الرابع عشر

قلتُ للمحكمة :

هايل هتلر

منذ يوم ١٧ فبراير حتى يوم ٢٢ مارس .. لم يذكر احـد اسمي .. لذلك اكملت اكثر من قصة بوليسية .

وكان يوم ٢٢ مارس موعد الدفاع عني .. وقد فوجئت بعدم وجود « الدكتور فون روهر شيدت » بين المحامين .. ولكنى لم احفل كثيرا بهذا .. فما قيمة دفاعه ..

دخلت هيئـة المحكمة القـاعة .. وساد صمت رهيب قطعه رئيس المحكمة « لورد لوتس » قائلا :

ـ الدفاع عن المتهم رودلف هيس ..

فتقدم شخص قدم نفسه بانه الدكتور سيدل المحامى .. ثم قال :

ـ لو سمحت لى المحكمة .. ان الدكتور فون روهر شيدت محامى المتهم رودلف هيس دهمته سيارة منـذ سـاعتين اثنتين فقط ! .. وهو فى المستشفى الآن يعانى كسرا خطيرا مضاعفا فى عظام ساقه .. لذلك لو سمحت لى المحكمة أن أقوم بمهمته بعد أن أخذت بيانا بكل ما يريد ان يقوله أمامكم .

وبعد لحظات .. تشاور خلالها رئيس المحكمة مع الاعضاء .. قال الرئيس ..

ـ ما رأى الادعاء ؟

ـ لا مانع ..

وبدا الدكتور سيدل دفاعه بسرد التهم الاربع الموجهة ضدى ، وهى : ـ ١ ـ التآمر على شن حرب عدوانية ـ ٢ ـ ارتكاب جرائم ضد السلام ـ ٣ ـ ارتكاب جرائم حرب ـ ٤ ـ ارتكاب جرائم ضد الانسانية جمعاء .

ثم قال الدكتور سيدل :

ـ أنا لن اتكلم كثيرا عن التهمتين الثالثة والرابعة ، لاننى واثق ان عدالة المحكمة ستبرىء موكلى على أساس انه كان بسجينا فى بريطانيا ، حينما بدأت جرائم الحرب والجرائم ضد الانسانية تأخذ شكلها المثير التراجيدى على مسرح الاراضى التى احتلتها قوات النازى .. اما عن التهمتين الاولى والثانية ، فلى كلام كثير ..

وفتح الدكتور سيدل ملفا كبيرا امامه .. وبدا واضحا انه قرر ان يتخذ من رحلتى الى انجلترا دليلا قاطعا على رغبتى « العارمة » فى السلام ، ووضع حد للتطاحن .. قال :

« لقد كانت الحرب فى بدايتها عندما سافر المتهم الى عدوه فى عقر داره ليضع يده فى يد العدو مضحيا بحياته أو على الاقل بحريته من أجل ان يسود السلام فى العالم » .

... وظل الدكتور سيدل يستخدم كلمات رنانة شديدة البلاغة .. ولكنى سئمت .. بل اشمأززت ونفرت منه .. انه يستجدى ان أعيش !! . انه يتسول ان ابقى حيا ! لذلك أمسكت بقصتى واكملتها .

◆ ◆ ◆

ويا للمفارقات .. لقد كانت القصة عن لص سرق لكى يقيم اود اولاده .. بعد ان ذبح كل القطط التى فى الحى ، واكلها !! ..

وكذلك الكلاب ! . ولم يعد هناك ما يمكن أن يقدمه لفلذات كبده من طعام . فاصبح بين اختيارين اما ان يموتوا جوعا أو ان يسرق بعض الطعام .. فسرق .. وجلس فى القفص مبتسما لقضاته ساخرا منهم ..

ولعلنى اندمجت كثيرا فى القصة ، حتى تقمصت شخصية البطل !

وقد كان المنظر غريبا .. المحامى يدافع عنى بحماسة وحرارة وانا لا اضع السماعات ، ولا اصغى لما يقول ، وحتى لا أنظر اليه . بل أقرأ قصة بوليسية واضحك واحيانا انظر الى القضاة وامط شفتى باشمئناط ! .. حتى ظن بعض الحاضرين انها « حركة » منى أؤكد قصور قواى العقلية !



وفى يوم ٥ يوليه .. افتتح رئيس المحكمة « لورد لوتس » الجلسة قائلا :

ـ المتهم رودلف هيس

فى الحقيقة اننى لم اسمعه .. لذلك فوجئت بحارسين يمسكان ذراعى الاثنتين . ويساعدانى على النهوض .. فتساءلت :

ـ ماذا حدث ؟ !!

فلكزنى احدهما وقال لى بالالمانية :

ـ المحكمة تناديك !!

وكانت هذه الحركة « القذرة » من الحارس الجندى الذى كان الاف أمثاله يقفون « أنتباه » بمجرد سماعهم صوتى أو حتى اسمى !! .. كانت هذه الحركة لها اثرها على ما أدليت به بعد ذلك امام المحكمة .. فقد رايت ان حياتى اصبحت لا تساوى شيئا .. لأن اهم شيء فى حياة الانسان هو كرامته !

وعندما وقفت امام المحكمة ، وبيدى القصة ! سالنى القاضى « لورد لوتس » :

ـ هل لديك ما تريد ان تقوله للمحكمة يارودلف هيس قبل ان تنطق المحكمة بالحكم ؟

فشددت قامتى بحركة عسكرية متكلفة .. ورفعت راسى ونظرت الى المحكمة نظرة حاولت ان احملها بقدر الامكان ما استطيع من صلف وكبرياء وعجرفة .. وقلت :

ـ قضاتى اعضاء ((هذه)) المحكمة . انا غير معترف بكم .. أولا وأخيرا .. قلت هذا فى بدء المحاكمة . واكرره اليوم وأؤكده قبيل أن تصدروا حكمكم .

واخذ سيل الشتائم والسباب ينهال من فمى ، كأنه صنبور مياه تلفت جلدته !! .. وهنا قاطعنى « لورد لوتس » رئيس المحكمة بحدة .. وقال لى وهو يضرب بالشاكوش فوق المنصة :

ـ ايها المتهم .. اذا كان لك دفاع عن التهم الموجهه اليك فقله .. ولكن لا نسمح لك هنا بالمهاترات .

وهنا لويت شفتى فى استياء وازدراء .. ودارت عيناى دورة سريعة على كل من فى القاعة . قضاة ومحامين ومتهمين وحرسا وصحفيين . .أردت ان أشاهد خشبة المسرح بكل من عليها من ممثلين ومهرجين .. وظن الجميع أننى لن أتكلم بعد هذه الاهانة . هل دارت الأيام حتى اصبح كلامى هراء ومهاترات ؟!! .. يا لسخرية الزمان !! اين انت يافوهرر هتلر لكى تشرح لهذا العالم من هو رودلف هيس ؟؟ .. اين انت يا فوهرر . ؟؟ . وفجاة وكأن هتلر بشحمه ولحمه ينادينى من هذا الركن .. ركن القاعة بجوار المنصة .. فلم اتمالك نفسى .. وفى اثناء هذا الصمت الرهيب الذى ساد القاعة .. ارتفعت ذراعى بحركة متشنجة ؟

وأديت التحية النازية لزعيمي هتلر ، وبكل ما أوتيت من قوة صوت قلت له :

ـ ((هايل هتلر .. هايل هتلر)) !
وظن الجميع أنني أجيد التمثيل . ولكن الحقيقة أنني تمثلته تماما امامي في هذه اللحظة ..

ثم بدات اتكلم بصوت حاد مرتفع النبرات .. قلت كل ما في قلبي .. كأني اتحدث امام أحد اجتماعات النازي .. قلت بالحرف الواحد :

ـ لقد اتيح لي ان أعمل لسنوات طويلة تحت امرة اعظم قائد انجبته الأرض الالمانية على مدى الف عام .. وانه ليسعدني ان اكون قد اديت واجبي نحو شعبي ، وواجبي كالماني وكنازي وكتابع امين للفوهرر زعيمي .. ولست آسفا على شيء بالمرة .. ولو اتيح لي ان ابدأ حياتي كلها من جديد لفعلت نفس ما فعلته من قبل .. حتى لو كنت اعلم سلفا انني في النهاية سوف القى حتفي حرقا مصلوبا على خازوق ! ..

انا لا يهمني ماذا ستفعلونه بي ... فذات يوم ساقف امام عرش العدالة الالهية في السماء .. وسيسألني وساجيب .. وانا واثق ان الحكم سيكون لي .. وهذا ما يهمني فعلا ..



ثم ساد الصمت لحظة .. قطعه رئيس المحكمة !
ـ هل لديك يا هيس كلمة تعقب بها على الاتهامات الموجهة اليك .. قلها باختصار .

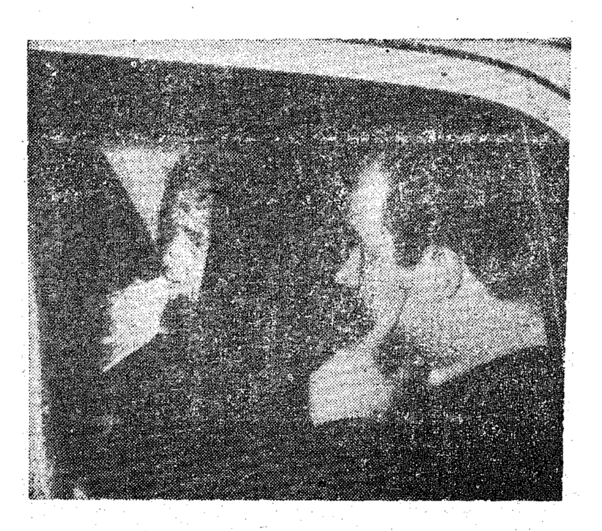
فقلت وكلي ثقة بالنفس :
ـ قضاتي اعضاء ((هذه)) المحكمة .. احب ان اكرر لكم ثانيا .. قبل أن تفتحوا الدرج لتخرجوا الحكم منه ! اكرر وانا في

كامل قواى العقلية اننى مسئول مسئولية تامة عن كل قرار اتخذته او وقعته .

وعندما سكت .. وعدت الى مكانى .. كان الصمت مطبقا .. ولكن ما لبثت الضوضاء ان ارتفعت رويدا رويدا .. الكل يهمس .. انه مجنون حقا وانا اقول لنفسى .. بل هم المجانين ..

ووسط هذه الضجة اضطر رئيس المحكمة ان يعلن :

ـ رفعت الجلسة



فى ٥ يناير ١٩٧٠ .. بعد غياب دام ٢٩ عاما .. رايت ابنى الصغير وقد تحول الى شاب عمره ٣٢ عاما ورايت زوجتى الشابة الجميلة وقد تحولت الى عجوز وقور



كان جورنج عنده امل كبير ان ينجو من حكم الاعدام •• كان لايهمه اى حكم بالسجن •• ولكنه كان يخشى الاعدام



كان جوررنج يستطيع الانتحار فى اية لحظة •• ولما فقد الامل نهائيا فى الحياة اختصر من عمره ساعتين وانتحر ••!!

الفصل الخامس عشر

كيف انتحر جورنج

انتهت محاكمات نورمبرج .. يوم أول أكتوبر ١٩٤٦ ..

كانت أطول محاكمة عرفها التاريخ .. فقد استمرت ٢١٧ يوما . وفى اليوم التالى تلا رئيس المحكمة (لورد لوتس) الاحكام ضد ٢١ من زعماء النازى ..

وكانت جلسة النطق بالحكم لها قصة طريفة معى ..

مر علينا الكولونيل (اندروس) قائد السجن فى الزنزانات المخصصة لنا فى البدروم . ليقول :

ـ استعدوا غدا النطق بالحكم !

وعندما قال لى هذه العبارة استوقفته .. وسألته :

ـ وهل النطق بالحكم له هذه الاهمية يا كولونيل ؟

ـ نعم .. انه سيقرر مصيرك !

ـ مصيرى معروف ! !

فقال الكولونيل بصلافة :

ـ هذا الكلام لن يفيدك كثيرا ..

وفى صباح يوم الجلسة .. صادر الحارس الرواية التى كانت معى وقال لى :

ـ لا يجوز أن تقرأ قصصا فى جلسة النطق بالحكم

قلت له :

ـ وماذا يعنيك أنت ..

ـ لا بد أن تحترم المحكمة

ـ حتى لو لم أكن معترفا بها ؟ ؟

فرمقنى بنظرة .. وسكت .. المهم انه صادر الرواية نهائيا !

كان كل الزملاء متلهفين على وضــع الســماعات على آذانهم بمجرد جلوسهم .. ولكنى رفضت استخدام السماعة ..

فمال جورنج على كتفى وقال لى :

ـ ألا تريد أن تسمع الحكم أيضا يارودلف ؟

فقلت له :

ـ أعرفه جيدا ..

ـ دائما متشائم ! ؟

وسرحت .. أستعرض ماضى عمرى كله فى وقت النطق بالحكم .. هل هذه هى نهايتى ؟ ؟ ..

ونطق القاضى بكل الاحكام .. وانتهت الجلسة وأنا لا أعرف بمــاذا حكمت المحكمــة ضــدى على وجه اليقــين ؟ ؟ .. وطلب الحراس منا أن نغادر القفص . .فى نفس الوقت الذى كان يصرخ فيه بعض الزملاء المتهمين وهم يقولون :

ـ اننا لم نرتكب ذنبا .. كل ما فعلناه أننــا كنــا مخلصين لبلدنا وزعيمنا .. وربنا ! !

بينما قال آخرون :

ـ ان كبرياءنا لا تسمح لنا بالموت شنقا .. لذلك كل ما نطلبه ان يكــون الاعــدام رميــا بالرصــاص كمــا يحدث فى ســاحات الحرب ..

اثنان فقط قالا ان الاحكام عادلة .. وهما البرت سبير وفون ستراينتشر ..

وكان حكمهما بالسجن !

وواحد فقط لم يتكلم قط .. لا بالاحتجاج ولا بالتأييد .. وهو هرمان جورنج .

كل هذا .. حتى وصلنا الى بدروم القصر .. وأنا لا اعرف بماذا حكم ضدى هؤلاء الحمقى ؟ ؟

وسألت الكولونيل اندروس قائد السجن ؟

ـ متى ستنفذون أحكام الاعدام ؟

ـ بعد منتصف ليلة السادس عشر من اكتوبر .. أى بعد حوالي أسبوعين .. ولكن ما شأنك انت بهذا ؟

ـ ألا تريدني أن أعرف متى سأموت ؟

ـ ان الحكم ضدك ليس بالاعدام .. آلا تعرف حكم المحكمة ؟!

ـ أبدا .. لم أسمعه

ـ انه السجن مدى الحياة

ـ ولماذا لم يحكموا بالاعدام ؟

ـ لأنك برىء من تهمتى الحرب والجرائم ضد الانسانية

وكان الكل حولى يتعجبون .. كيف لم أسمع الحكم ؟

وظن بعض الحاضرين أننى أتظاهر بالجنــون كمحــاولة اخيرة للافلات من العقاب .. ولكن هذه هى الحقيقة !

وفى الساعة الحادية عشرة الا ربعــا من ليلة الســادس عشر من أكتوبر سمع الحارس المخصص لزنزانة جورنج صوتا غريبا .. صوت ارتطام شيء ثقيل بالارض .. فأطــل من (الكــوة) المخصصــة للمراقبة .. فشــاهد جورنج ملقى على الارض وهو يتلوى ويتقلص بحركات متشنجة ، فنفخ فى صفارته ، واندفع يفتح الزنزانة ووراءه كل الحرس وقائد الســجن والطبيب .. ولكن بعد فوات الأوان .. كان هرمان جورنج قد مات .. وعثر الأطباء الذين فحصوا جثته على شظايا زجاج تحت لسانه وبقايا من مادة سيانور البوتاسيوم فى فمه .

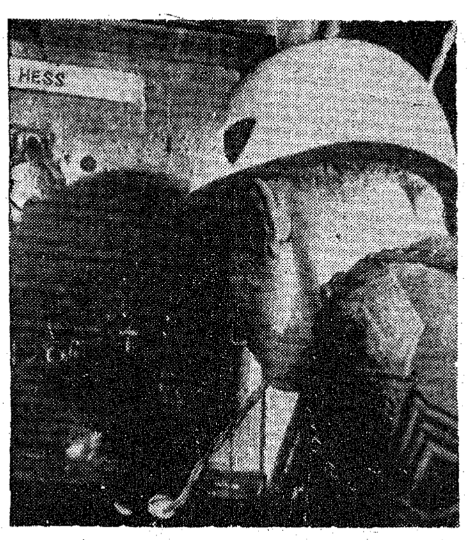
واكتشفت سلطات السجن فى صباح اليــوم التالى انبــوبة صغيرة جدا من النحاس ، يبــدو انهــا كانت الوعاء للكبســولة الزجاجية التى بها المادة السامة ويبدو أيضا أنها كانت فى حوزة جورنج منذ اللحظة الاولى لاعتقاله . ولعله كان يخفيها فى فمه تحت لسانه .

.. لقد كان جورنج يستطيع الانتحار فى أى لحظة .. ولكنه فضل أن يشهد المحاكمة بأسرها ، عسى أن يفلت بجلده فلما أيقن أن لا مفر اختصر من عمره ساعتين !

وكان من نتيجة انتحار جورنج ان ضوعفت الحراسة ، واتخذت التدابير المعقولة وغير المعقولة مع المحكوم عليهم بالاعدام .

حتى جاءت الساعة الواحدة والدقيقة ١١ كبدأ تنفيذ حكم الاعدام فى ١٢ من الزملاء .. فقد كان عدد المحكوم عليهم بالاعدام ١٣ .

وفى تمام الساعة الثانية والدقيقة ٤٥ ، أعلنت ادارة السجن أنها انتهت من عملية القتل الجماعى !



فى كل زنزانة من زنزانات سجن نورمبرج (كوة) صغيرة يستطيع الحارس ان يشاهد منها كل ما يجرى داخل الزنزانة ، ومع ذلك ، انتحر جورنج



فى الساعة الواحدة والدقيقة ١١ بعد منتصف ليلة السادس عشر من اكتوبر ١٩٤٦ بدأ تنفيذ حكم الاعدام فى ١٢ من الزملاء .. كان عدد المحكوم عليهم بالاعدام ١٣ .. ولكن انتحر جورنج .. فاصبحوا ١٢ فقط .. وفى الساعة الثانية والدقيقة ٤٥ اعلنت ادارة السجن الانتهاء من عملية القتل الجماعى ..

الفصل السادس عشر

أنا السجين الوحيد
وسط ثمانية أفندية

وفى صباح اليوم التالى .. فى بهو سجن نورمبرج .. اتضح لى انه لم يبق فى السجن سواى وستة مسجونين آخرين فقط ..

فسألت قائد السجن :

ـ هل سيطول بنا المقام فى هذا البدروم ؟ !

ـ ابدا .. ايام قليلة !

وكانت الايام القليلة تسعة اشهر !

ففى الساعة الرابعة من صباح يوم ١٨ يوليو ١٩٤٧ .. ايقظنى الحارس بغلظة ليقول :

ـ احزم أمتعتك .. ستنقل الى سجن آخر !

ـ وهل هذا وقته .. ألا يمكن ارجاء هذا الى الصباح أيها الحمقى !

فزمجر الحارس وسب وشتم .. فقلت له :

ـ صه .. ايها الأبله الغبى .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحا .. دلفت سيارة سوداء مقفلة من بوابة سجن اسمه سجن سباندا و . وبداخلها نحن السبعة .. وقد قرأت على باب السجن لافتة تقول :

« لا تقترب من السور .. الحراس لديهم أوامر باطلاق النار فورا » .

ونزلنا نحن السبعة من السيارة .. كنت آخر من نزل من السيارة كان رقمى ٧ .. وظل هذا هو رقمى حتى يومنا هذا .. رغم أن بعض الستة الذين كانوا معى أصبح حرا خارج الأسوار .. وبعضهم الآخر « تحررت » روحه من الأرض ومن فيها وصعدت الى السماء !

.. كان ترتيبنا فى النزول كالآتى : فون سترايتشر «رقم ١»
والاميرال كارل دونتز « رقم ٢ »
والبارون كونستانتين فون نورات « رقم ٣»
والاميرال أريك رايت « رقم ٤ »
والبرت سبير « رقم ٥ »
ووالتر فانك رقم « ٦ » .. وأخيرا هتف الرجل :
ـ انزل أيها السجين

وكان يقصدنى .. فلم يبق سواى داخل العربة . فنزلت فاصبح رقمى ٧ .

◆ ◆ ◆

وزنزانتى رقم ٧ طولها متران ونصف متر ، وعرضها متر ونصف متر .. تحتوى على سرير من الحديد عليه مرتبة وملاءة بيضاء ، ومقعد من الخشب ، ومنضدة وحوض غسيل ، وصندوق خشبى ، وفوطه ، وصابون .. وفى أعلى الجدار المواجه الباب نافذة مغطاة بشبكة حديدية ثقيلة .. وفى وسط السقف مصباح كهربائى مغطى بدوره بشبكة من السلك القوى .

كان السجن فى الاصل معدا لاستقبال ٦٠٠ سجين ، ولكنه الآن سيخصص لنا نحن السبعة فقط !

وسجن سبانداو هو قلعة رهيبة الشكل .. مبنية بالطوب الاحمر .. تطل على فناء مساحته نحو ثمانية أفدنة ! .. وهى

تكون ما يشبه الجزيرة فى قلب برلين الغربيـــة .. وقد قامت ببنائها الدول الاربع الكبرى التى انتصرت فىالحرب ، ويتـولى جنود من هذه الدول الاربع الحراسة المشتركة فى هذا الســجن كل دولة تحرس السجن لمدة شهر واحد على التوالى !

والنظام قاس للغاية .. ولأول مرة شعرت بأن السجن عقوبة فعــلا ! ..

وكان أول طلب تقدم به زملائى لادارة السجن هو رؤية أهلهم .. ولما جاءنى قائد السجن ليسألنى عنطلباتى قلت له :

ـ لا شيء بالمرة

ـ ما هو عنوان أهلك لكى يحضروا لزيارتك ؟

ـ لا أريد أن يزورنى احد .

قلت هذا برغم أننى الوحيد من بين هؤلاء الذى لم ير أسرته منذ ١٩٤١ ..

◆ ◆ ◆

وفى نهاية عام ١٩٤٧ .. تلقيت هــذا الخطــاب من زوجتى « الزى » ..

« عزيزى زوجى الحبيب ..

تتبعت باعتزاز وفخر كلامك فى محكمــة نورمبرج .. وعلى قدر خوفى عليك كنت فخورة بك .. كنت أمسكبالصحف وأسير فى الشارع . وبودى لو أصرخ فى كل الناس حولى ، لأقول لهم : انا زوجة هذا الرجل الذى يقول ما يعتقد رغم كل الظروف .. رجل لاتهمه حياته فى سبيل مبدأ اعتنقه .. رجل معتز بكرامتــه أيما اعتزاز حتى لو كانت سلاسل الحديد فى يديه .

« عزيزى رودلف ــ سأحتفظ بكل الصحف دبكل ما قيل عنك لكى أطلع ابنك وولف عليها يوما ما .

عزيزى رودلف ــ هل تذكر صديقنا القديم شميدت ؟ .. انه

اكثر من شهم .. لقد اعطانى الكثير من المال ويعتنى بابننا وولف .. وقد اهدى لنا فيلا صغيرة فى مدينة « ميندبلانج » .. حيث نعيش الآن وقد استأنف وولف هنا تعليمه مرة اخرى بعد أن انقطع طوال السنوات الأخيرة » .

◆ ◆ ◆

وفى عام ١٩٥٩ .. جاءنى خطاب من ابنى وولف يقول لى فيه :

« لقد بلغت الآن واحدا وعشرين عاما من عمرى .. وطلبونى للخدمة العسكرية فى جيش المانيا الغربية .. ولكنى قدمت التماسا أطلب اعفائى من التجنيد .. لان الدول الكبرى فى حلف الاطلنطى حكمت عليك بالسجن مدى الحياة .. لذا فضميرى لا يسمح لى بأن اعمل فى خدمة أناس اهانوا والدى وحاكموه محاكمة ظالمة غير عادلة وأصدروا ضده حكما جائرا .

« ورغم أن الالتماس رفض .. الا أننى لم أسلم نفسى لارادة الجيش ، وادارة الجيش من جهتها لم تعاود طلبى مرة اخرى » .



وتكررت زيارات أهل زملائى المسجونين لهم مرة كل أسبوعين لمدة عشر دقائق من وراء الاسلاك الشائكة .. بحيث لا يمكن للمسجونين أن يتصافحوا بالايدى مع اهلهم .

ولما كنت قد رفضت أى زيارة منذ وصولنا الى هنا عام ١٩٤٧ ، ولم يسألنى احد بعد ذلك عما اذا كنت ارغب فى هذه الزيارة أم لا .. ولما كانت كبريائى لاتسمح لى بأن أكون أنا البادىء بالسؤال .. لذلك ظللت بعيداً عن زوجتى وابنى حتى يوم ٥ يناير الماضى (١٩٧٠) ! حين زارتنى زوجتى ومعها ابنى (وولف) .. وكانت آخر مرة رأيت فيها « وولف » يوم ١٠ مايو ١٩٤١ .. رأيته بعد ٢٩ عاما .. كنت قد تركته قبل أن يتم عامه الرابع

ثم رأيته وعمره ٣٢ عاما ! ورأيت زوجتى الشابة الجميلة وقد تحولت الى عجوز وقور .

وكانت الزيارة بلا أسلاك شائكة . وبلا زمن محدد .. فانا السجين الوحيد هنا .. سجين وحيد فى سجن بنته أربع دول كبرى على مساحة ثمانية أفدنة !



انهم يودون أن أكتب التماسا للافراج عنى .. ولكنى لن أفعل بعد أن بلغت هذه السن ! .. أنا الآن وصلت الى سن السادسة والسبعين .. وسأظل وحدى وسط ثمانية أفدنة أكلف الدول الاربع الاف الجنيهات كل شهر مصاريف حراسة وصيانة .. ولن أكتب التماسا .. ! ألم أقل فى البداية اننى عنيد !!

((تمت))

عبد الرحمن فهمى





« مطابع شركة الاعلانات الشرقية »



٦٨٪
سافو
ينظف اكثر بياضا
سافو
سافو
سافو
بلغت مبيعاتى
٦٨٪ من جملة
جميع مبيعات
المنظفات الصناعية
مبيعات باقى
المنظفات الصناعية
٣٢٪